**21 متر مربع**

**رواية**

# وَسَاءَ سَبيلاً

**علياء شعبان**

الكتـــــــاب: ٢١ متر مربع: وساء سبيلا
اسم المؤلفـــــة: علياء شعبان
تصميم الغـلاف: ريهام البلتاجي
التدقيق اللغوي: عيد إبراهيم عبدالله
الطبعــــــــة: أبريل 2021
رقــم الإيـــــداع: 5989 / 2021
الترقيــم الدولــي: 9 - 375 - 779 - 977 - 978
الموقــــــــــــع: www.ibda3eg.com

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله
dreidibrahim@gmail.com



للتواصل بخصوص النشر:
info@ibda3eg.com
publishing@ibda3eg.com
للتواصل بخصوص المبيعات
00201004022774

العنوان: 10 ش هدى شعـــــراوي، وســـط البـــلد، القاهـــرة
هاتف: 0223909119 - موبايل: 01001631173
البريد الإلكتروني: info@ibda3eg.com


dar__ibda3


ibda3-tp


dar__ibda3

# 21 متر مربع

رواية

# وَسَاءَ سَبيلاً

علياء شعبان



## الإهـــداء

إلى قوة بشرية عاشت فسادًا وظنت أن لا قوة تفوق سيادتها؛ فسلكت ما ترنو إليه نفسها الأمارة بالسوء، غير مُكترثة بتلك القوة الإلهية التي إن سقطت على الأرض بخست بكُل ما تزعم من قوة وهمية.

إلى السائرين في طرق مُتعرجة تتخبط ما بين قطع الأرحام وإراقة الدم من أجل مغريات دنيوية، والخوض في أعراض ذويهم بغير حق؛ أنتم على موعد مع تحقيق العدالة الربانية، وإن طال ترنُّحكم؛ سوف تتقاطع طرقكم في عناقٍ غير وامقٍ!.

**"إهــ خاص ــداء جدًا".**

## إلى زوجي العزيز:

إليكَ تحياتي، وأُحيطُكَ علمًا بأن الشر بدأ يَسري في عروقي فور انتهائي من كتابة هذه القصة؛ فعليكَ بمراجعة ما تقترفه من أخطاء فادحة في حقي كتحريض الشباب على التعدد في أقرب فرصة!
فأنا أخشى عليكَ يا عزيزي أن تستفز "الرَغد المتوحشة بداخلي".

"الجريمة تنتج عن النزاع الأبدي بين الخير والشر؛ ولا يُخيَّل لك أبدًا أنك فوق قوة الخير مهما ارتفعت، كالذي يتخذ بيت العنكبوت حِصنًا يظنه يحميه، بينما لا يحتمي سوى بالوهم والوهن".

# نزاع أبدي

حاوطت أجهزة الشرطة كُل الجهات والمخارج التي يطل عليها القصر في محاولة لدراسة الجريمة بدقة، ومعرفة ما إذا كان الجاني أحد أفراد هذه العائلة، أو ثمة دخيل وطئت قدماه أرض القصر، وخرج منه خفيةً!

طلب "عبد الله" أن يتولى مسؤولية التحقيق في هذه القضية شخص ذو رويَّة وحدة ذكاء؛ فيمكنه بهاتين الصفتين أن يتعرف على غَور القضية وكُنهها بأكملها؛ وفي النهاية يمكنه دراسة الجريمة حق دراسة، وكشف جميع الأدلة التي تُحقق العدالة الجنائية.

توجه "سليم النجدي" إلى مسرح الجريمة حيث الحديقة الخلفية للقصر، هذا الضابط الذي يتسم بالفطنة والخبرة؛ وهما سلاحان مُدمران يجعلانه قادرًا على الوصول إلى الجوانب الخفية والغامضة من القضية واللعب عليها بسلاسة وحرفية لا يُتقنها سوى ذي الخبرة والحنكة.

أحدَّ "سليم" البصرَ في كُل زاوية بالمكان؛ بدايةً من الطاولة التي تشعل الهواجس والشكوك في نفسه، حتى الأطباق التي فُرغت من الطعام رغم حديث زوجته التي قالت إنها لمَّا رأته على هذه الحالة كانت الأطباق تمتلئ بالطعام، طلب من مساعديه أن يشرعوا في جمع

كُل تلك الأشياء وتحرزها لفحص البصمات المستقرة عليها.
تنهد تنهيدة ممدودة بعُمقٍ قبل أن يضع كفيه داخل جيبي بنطاله، ثم ينتقل بعينيه إلى الشمعتين المنصهرتين، ويحدق فيهما بإمعانٍ إلى أن وجد شَعرة رفيعة للغاية تلتصق بإحدى الشمعتين، استدار نحو مساعده ثم أشار له أن يأتي فورًا وقال بصوت أجشٍ متأفف من شدة البرد:

-خد دي كمان معاهم.

انتهى من حديثه مع المساعد، ثم توجه بنظراته إلى الأب وقال مستفسرًا بصورة غامضة:

-عندي سؤال قد يبدو مش ولابد؛ بس عاوز له إجابة ضروري!

أومأ "عبد الله" يأذن له أن يسأل في لهفة وفضول؛ فأكمل الأخير بصوت هادئ راسخٍ:

-مين من السيدات هنا شعرها أشقر!!!

لاحت الأبصار إليها، زوت "فاطمة" ما بين عينيها ثم أجابتهُ باستغراب:

-أنا!

أطال النظر إليها، ثم أخذ نفسًا عميقًا قبل أن يتكلم مُفسرًا بتريث:

-مجرد سؤال، مش عاوزك تقلقي خالص.

تحرك في المكان بأكمله محاولًا جمع أكبر قدر من الأشياء الموجودة والتي يشك في أهميتها على المدى البعيد وطيلة فترة التحريات التي يُخضعها لهذه الجريمة، وما أن انتهى حتى تكلم بلهجة حاسمة:

-المجني عليه موجود فين؟!

هتف "عبد اللّه" بطاعة وأمل:

-اتفضل معايا يا سليم باشا.

تحرك "سليم" معه بعد أن طلب مرافقة زوجة المجني عليه لهما، صعد الدرج حتى وصل إلى الغرفة، وقام الأب بفتحها مُتخذًا أحد جوانب الطريق كي يسمح له بالمرور إلى الغرفة أولًا، تحرك مقتربًا من المجني عليه، وتبعه كُلٌّ من "عبد اللّه وفاطمة".

أزاح الغطاء الموجود على وجهه، وراح يتفحصه بروية وثبات، فقد كانت شفتاه زرقاوين إلا أن وجهه كان يسطع بنورٍ مُبهرٍ كالسماء في لحظة صفاء، أطرق برأسه في حزنٍ إذ أنه قلما يجد هذه العلامات الطيبة على وجه قتلاه الذين يحقق في جرائمهم، تنهد طويلًا قبل أن يعزيهم بصوت ثابت ومُثابر:

-البقاء للّه!.

انهمرت الدموع تشق طريقها إلى وجنتيها مرة أخرى، فيما شكره "عبد اللّه" على مواساته لهما، بدأ "سليم" يزيح الغطاء عن جسده رويدًا، ويحاول البحث عن إصابات خطيرة أو سطحية حتى في جسده إلا أنه لم يصل إلى شيءٍ يثير شكوكه، انتقل ببصره إلى ذراعه يتفحصه كحال باقي جسده ولم يجد به شيئًا كذلك حتى رصدت عيناه لونًا غامقًا أسفل أظافره، قرب راحته بهدوءٍ، ثم بدأ يتحرى بعينيه ماهية هذا الشيء الذي فسره على أنه دم مُتجلط يعود إلى وفاة الجثة قبل ساعات!!!

ضيق عينيه لبُرهة قبل أن يستدير نحوهما ثم يقول بتساؤل مهتمٍ:
-إمتى اكتشفتوا الجريمة بالوقت والساعة تحديدًا!!!!
أجابتهُ "فاطمة" بصوت متقطع من كثرة البكاء:
-الساعة ٢ بعد نص الليل، الوقت دا بيحب يقعد فيه لوحده يقرأ شوية من القرآن، ويصلي قيام الليل، ويستنى الفجر، وبعد ما يصليه ينام.
قطب "سليم" ما بين حاجبيه، ثم أردف باستغراب:
-وإيه اللي خرجوا للجنينة في الوقت دا؟!.
فاطمة وهي تصيح ببكاءٍ انفلق معه قلبها إلى شطرين متأججين بنار مُستعرة تبحث عمَّا تريد أكله انتقامًا لزوجها:
-أنا جوزي مخرجش للجنينة بإرادته أبدًا ومستحيل يعمل كدا، لأنه مش بيحب يقف تحت المطر أصلًا، وبعدين هو عمره ما كان بيتعشى ولو حصل في مرة فكان بيصحيني.
حرك "سليم" رأسه ببطءٍ ثم قال بصوت خافتٍ:
-امممم، طيب إنتِ شاكة في حد معين؟!
أومأت سلبًا وراحت تجهش بالبكاء قائلةً بلوعة ومرارة:
-لأ.
تنهد ضابط الشرطة بحيرة قبل أن يُعلن باستسلام:
-تمام، هيتم تحويل الجثة على الطب الشرعي، وبعد ٤٨ ساعة هنستلم تقرير مبدئي بحالة الجثة ووقتها هنعرف سبب الوفاة وهل هو مات غدر زيّ ما بتقولي ولا قضاء وقدر!
أومأت بانكسارٍ قبل أن تغمغم بصوت مبحوحٍ:

-غدر.

في تلك اللحظة، التفت ضابط الشرطة إلى الكاتب المرافق له، ثم قال بصوت أجش:

-اكتب يا بني،

"فور تلقينا بلاغًا من المواطنة/ فاطمة الزهراء محمد عيسى عن وجود جريمة قتل بقصر عائلة الزيني بالقاهرة، إنه في يوم الثلاثاء الساعة السابعة صباحًا تم تحرير محضر بالواقعة، وقد تم الأخذ بإفادة جميع أفراد العائلة والمحيطين بالمجني عليه وسؤال كُل منهم عن علاقته بالمجني عليه وسبب ادعاء زوجته حول قتله بالسم!".

حسم ضابط الشرطة الأمر بقرار مغادرة الغرفة فخرج منها سريعًا وسار "عبد اللّه" خلفهُ مشتعل الخطى كاشتعال نفسه تعزية لوفاة أحد الحبيبين على قلبه ولا يغيب عن عقله هذه المشاهد التي مر بها قبل ساعات قليلة!

أسرع الجميع إلى مصدر الصوت، كانت تصرخ بلا هوادة أو توقف وراحت تصك وِجنتيها بصدمة حينما وجدته مُتصلبًا على كرسيه وقد ازرقت شفتيه من البرد وتجمدت أطرافه، هرول "عبد اللّه" نحوها وتبعه جميع من بالقصر، أخذت أنفاسه تتصاعد بوجلٍ وتوجسٍ بينما هرول بمحاذاته حارس البوابة "جويدة" الذي حمل مصباحًا مُضاءً بين كفيه كي يهتديا به في عُتمة الليل إلى أن وقعت عيناهما عليها، حدق بارتيابٍ ثم قال بصوت هامسٍ وهو يبطء في خطواته بقلقٍ:

-فهد!

تابع سيره بوجه شاحبٍ إلى أن استدار وأصبح وجه ابنه أمامه، اتسعت عيناه مذعورًا يطالع الجالس أمامه بأنفاس ثائرة فيما بدأت "فاطمة" تهز زوجها بقوة عله يصحو، وتستيقظ هي من هذا الكابوس؛ ولكنها حين رأت تجمد جسده في وَهَن أدركت أن ما يحصل الآن هو الحقيقة المُرة ولا يوجد كابوس كي تستيقظ هاربة منه؛ فلا هروب من الواقع إلا إليه!

رجَّت جسده بقوة وحُرقة ثم ألقت رأسها على صدره بعد أن فقدت الأمل في إدراكه لصراخها؛ أجهشت في البكاء الذي ارتفع بصوت صاخبٍ مكلومٍ يتقطع له نياط القلوب وراحت تهدر بصوت مُتأججٍ من شدة الألم:

-فهـــد!!!

سقطت عَبرة من عيني "عبد الله" الذي وقع صريعًا بين مخالب الصدمة التي ألمت به، فبقى ينظر إلى ابنه لدقائق طويلة، ثم تحرك مقتربًا منه وراح يجثو على ركبتيه أمامه قائلًا بصوت مُتهدجٍ مصدومٍ:

-فهد ابني ماله يا فاطمة؟!

رفعت "فاطمة" بصرها إليه، ثم أخفضته مرة أخرى في عجز كان كفيلًا أن يُصيبه بانهيارٍ، أسرع بالتقاط كف ابنه ثم صرخ باكيًا بجزع وقنوط:

-رد عليا يا فهد.. رد وقول أنا كويس يا أبويا.. رد عايز أسمع صوتك وأصحى من الكابوس دا!!!!

*****

دوى صوت القرآن في أرجاء قصر عائلة (الزيني) تلك العائلة التي تمتد جذورها إلى إحدى القرى بصعيد مصر؛ إلا أن كبير هذه العائلة قرر أن ينقل نشاط حياته وشركاته إلى القاهرة، وجاء فاستقر بها منذ أعوام مضت؛ فاكتسب جميع أفراد العائلة طباع وعادات المدينة حتى صاروًا لا يختلفون عن أهلها، ولا سيما احتفاظ العائلة بأصولهم الصعيدية، أنجب "عبد الله" ولدين، واجتهد في تربيتهما وتجهيزهما للعمل داخل مصانع وشركات عائلة (الزيني) والتي تمتلك ثروة هائلة لا تُعد ولا تُحصى.

لم تفارقها صورة زوجها حينما كان يجلس على كرسيه لا يُحرك ساكنًا، أخذت تُدَمدم في شرودٍ وعقلها لا يستوعب بعد وفاة زوجها الذي لم يعاني مرضًا ولم يشكُ أمرًا؛ بل كان مُتفائلًا بالحياة ومُقررًا معها ألا يبكيان على ما مضى، ويستعدان لقدوم الأخبار الجديدة التي تبعث الأمل وتحييه في نفوسهما مرة أخرى.

جلست القرفصاء داخل ردهة القصر تنتحب وتبكي بانهيارٍ، وقد بهتت ملامح وجهها وانطفأت، تحرك ذلك الشاب نحوها إلى أن وقف أمامها مُباشرة ثم قال بصوت هادئ:

-فاطمة، اللي بتعمليه دا اعتراض على قضاء ربنا!!، هاتي مفتاح الأوضة اللي فيها الجثة علشان نغسلها وندفنها!

حدجتهُ بنظرات قوية ثم أجابتهُ بصوت مبحوح:

-أنا جوزي كان سليم ومكانش بيشتكي من حاجة، وابني لمَّا مات

الدكتور كان قايل لي إنه بخير!
أطرق برأسه ثم تابع بصوت مخنوقٍ:
-عمرهم انتهي لحد هنا يا فاطمة.
اِفترَّ جانب شفتيها عن اِبتسامة ساخرة، ثم صاحت باستنكار:
-بالبساطة دي!.. عيِّلة بتضحكوا عليها بكلمتين.. بتجبروني أقبل بحاجة مش مقتنعة بيها وإلا أكون كفرت بربنا؟
في تلك اللحظة، انضم "أنور" إليهما، تنهد تنهيدة ممدودة بعُمقٍ قبل أن يواسيها بصوت حزينٍ على فراق شقيقه:
-ربنا يرحمه ويجعل مثواه الجنة.
كانت الدموع تسيل من عينيها أنهارًا، تحولت ببصرها إلى شقيق زوجها، ثم تابعت بصوت باكٍ:
-ونعم بالله!، أنا مؤمنة بقضاء الله وقدره، بس صدقني يا أنور، صدقني في حاجة غلط!!
قضَبَ ما بين حاجبيه ثم سألها باهتمام يحاول استنتاج وجهة نظرها حول رفضها تسليمهم المفتاح كي يتم غسل زوجها والخروج إلى مقابر العائلة للدفن:
-حاجة غلط إزاي؟!!
ابتلعت "فاطمة" غِصَّة مريرة في حلقها ثم أردفت بمرارة وحسرة:
-عايزة أشرح جُثة جوزي، لأنه مماتش موتة طبيعية!
حدق "أنور" فيها مصدومًا ثم هتف:

-إنتِ أكيد اتجننتي، اعقلي يا فاطمة!!

صرخت فيهما بصوت هادر:

- أنا اتغدر بابني وجوزي، ولو أنا فعلًا مجنونة فخدوني على أد عقلي!!

رمقها "رياض" شذرًا مصدومًا من الفكرة التي راودت عقلها، ثم أردف بلهجة صارمة:

-وأنا ابن عمي مش هيتبهدل، لو مسلمتنيش المفتاح.. هكسر الباب.

هبت واقفةً في مكانها ثم صرخت فيه بصلابة وحدة:

-دخولك أوضة جوزي على جُثتي.

استدارت بعينيها نحو "عبد الله" الذي جلس على جنب منكسًا رأسه في حسرة بعد أن كُسر عكازه الذي شاطره الكثير من إنجازاته حتى جمع هذه الثروة، هرعت إليه ثم انحنت حتى قبلت كفه وهي تقول باستجداءٍ:

-أرجوك يا عمي طاوعني، جوزي اتقتل غدر، علشان خاطري متضيعش حقه!!!

سقطت عَبرة مُلتهبة من عينيه، لمس رأسها بأناملٍ مُرتجفة قبل أن يبدي استعداده لتنفيذ رغبتها كذلك، أردف مؤكدًا بصوت أجشٍ :

-ابني كان حصان، لا اشتكى مرض، ولا كتم وجع في نفسه، فاطمة كانت بالنسبة له الدوا، مش هتغاضى عن إحساسها وهصدقها؛ زيّ ما ابني كان مؤمن بكُل حاجة بينهم.

اندهش الجميع وتصاعد همزهم ولمزهم إلى مسامعه مُستنكرين ما

يوافق عليه وقراره بعرض جثة ابنه على الطب الشرعي لمعرفة سبب الوفاة؛ ولكنه لم يبال بهم ولم يُصرح أيضًا بالشكوك التي راودت نفسه حول وفاة ابنه بهذه الطريقة الغريبة!!

مالت على كفه من جديد تُقبله بامتنانٍ رغم ارتفاع نبرة بكائها المُتقطع، أسرع "غالب" بالاقتراب منه ثم هتف بازدراء ولهجة حازمة:

-إنتَ أكيد إتجننت زيّ مرات ابنك يا عبد الله، أنا مش هسمح لك تبهدل جُثة ابن أخويا أبدًا!.

في هذه اللحظة، انتصب "عبد الله" واقفًا في مكانه ثم صاح بصوت مُتشنج جهوري:

-جنانٍ بجنان؛ فاللي عايز يعترضك يطلع برا القصر!

حدق "غالب" فيه مصدومًا ولكنه تغاضى عمَّا قال تقديرًا لوضعه الحرج بعدما فقد أحد ولديه وقبل ثلاثة أشهر فقد حفيده أيضًا بعد ولادته بأسبوع واحد فقط!!.. لقد كانت سعادته تسع السماء عندما صار جدًا وقد حُرم ابنه الأكبر من الذرية، وما أن تزوج الأصغر انتظر "عبد الله" بلهفة وشوق وصول خبر حمل زوجته الذي طال لعامين ثم مَنّ الله عليهما بطفل ولد، ولكنه مات قبل أن يشغفه حُبًا أو يرى ترعرعه وصياحه الطفولي داخل جنبات هذا القصر الذي فرغ عليهم ولم يمتلئ بالأبناء كما كان يأمُل في السابق.

نظرت "فاطمة" حولها بتيه واختناق فقررت أن تلوذ بالفرار إلى غرفتهما كي تُفرح قلبه الساكن بهذا الخبر الهام واعدةً إياه أن تسترد

حقه إن مات مغدورًا به كما تشعر!
صعدت درجات السلم على الفور ثم توجهت إلى الغرفة وفتحتها، دخلت بسرعة قبل أن يتبعها أحدًا وما أن استدارت تواجه الفراش الذي ينام عليه حتى تشنجت ملامح وجهها وراحت تبكي بصوت مكتوم وهي تسير مكسورة القلب وحيدة من بعد فراقه، وصلت إلى الفراشً ثم جثت على ركبتيها بجواره وراحت تُقرب أناملها المُرتجفة نحو الغطاء الموضوع على وجهه ثم كشفته بهدوءٍ لا يشبه العاصفة العنيفة التي تضرب جدران قلبها المفجوع في ثكل زوجها الحبيب ومن قبله ابنها.
ابتلعت "فاطمة" غِصَّة مريرة في حلقها قبل أن تميل إلى أذنه ثم تمرر أناملها على تفاصيل وجهه وتقول في حُرقة تضطرم بجوارحها:
-إنتَ خلاص كدا هتمشي وتسيبني!
سقطت عَبراتها الساخنة تباعًا وأكملت بعجز مهين:
-طيب وأنا؟ هعيش لمين بعدك؟! دا إنتَ اللي كُنتً مصبرني على القهرة اللي أنا فيها، أنا كنت بقوى بيك وشايفة إني ملكت الدنيا بزوج نَفَسُه حوليا بيقويني، إنتَ عارف عملت فيا إيه؟! أنا ضهري اتكسر بكسرة قلبي عليك.
أطرقت برأسها في وجعٍ ثم ابتسمت بحنين ممزوج بالكسرة:
-وما تقوليش متعيطيش، وإن دمعي فريد من نوعه زيّ الماس، وإن عيوني بتلمع وقت العياط، ومينفعش حد يشوف اللمعة دي غيرك،

متقوليش بغير عليكِ يا سَند!!

أجهشت بالبكاء ثم تابعت:

-متقوليش معزيش نفسي فيك؛ أنا يتيمة من بعدك؛ يمكن كُنت شايفني سَند ودافع في اللحظات اللي بتضعف فيها نفسك، بس إنتَ كُنت الجبل اللي بيعصمني من الغرق في بحر ظلماتهم، أنا أبويا مات النهاردة يا فهد.

هبت تقف في مكانها ثم جلست على طرف الفراش وراحت تضع وجهه بين كفيها ثم تنوح في حسرة:

-بالله عليك يا فهد قوم، أنا محتاجة لك!!!

شرعت تهزه ببطء ثم تحولت هزتها له إلى أخرى قوية ظنًا منها أنه ربما يسمع رجاءها وأن ما يمر به ليس سوى سِنَةٌ قصيرة من النوم وأن زوجها الحبيب سيفتح عينيه مُقدرًا استجدائها له!

*****

تجمع رجال العائلة حوله باحتجاج وازدراء له بعدما جعل كلمات امرأة تسري عليهم جميعًا، قدح الغضب من عيني "رياض" وراح يقول بلهجة حادة:

-إنتَ إزاي تطاوعها يا عمي في الجنان اللي هي بتعمله دا؟!

تناول "أنور" منه طرف الحديث ثم أردف بنبرة محتدة بالغضب الشديد:

-عايز تقطع في لحم أخويا بعد موته؟! عايز الناس تضحك علينا يا أبويا؟!

تنهد "غالب" بحسرة ثم صاح:

-فاطمة مش في وعيها، بس إنتَ كبير العيلة دي وفاهم أن تشريح جثة ابنك هتدينك بحاجات كتير، ومقامك وسط الناس! مفكرتش فيه؟!!

أنور وهو يرد باستنكار وتيه:

-ثم إني مش فاهم، مين اللي هيقتل أخويا وهو في بيته؟! يكونش أنا؟! ولا عمي غالب ولا رياض ولا جويدة البواب وكريمة الشغالة ولا تكون رَغد مراتي!!

سكت لبُرهة ثم أضاف بوجه متجهمٍ:

-إحنا أهل بيته اللي هنقتله؟!

ضرب "عبد الله" عصاه التي يستند عليها بقوة على الأرض ثم صاح بصوت جهوريٍ حاسم:

-قراري قولته ومش هرجع فيه وزمان الشرطة والمحقق الجنائي على وصول.

*****

"صك إنسانيتك لا يُقاس بما تُبدى؛ بل ما تنشغل به نفسك وما تُضمر".

# خبايا

مرَّ يومان على تحرير محضر بالواقعة ومجيء وكيل النيابة إلى مسرح الجريمة، وصدور أمر عاجل باستخراج تقرير من الطب الشرعي يفي بحالة المجني عليه بشكل كامل، انتظرت "فاطمة" النتيجة على أحر من الجمر، ورفضت أن يُقام العزاء على روح زوجها إلا بعد أن تصلها نتيجة الطب الشرعي، فإن مات حتف أنفه سكن لهيب حُرقتها، ودعت له بالرحمة والمغفرة، وإن كان كما تتيقن أحاسيسها وشكوكها؛ فلابد أن ينال كُلُّ قاتلٍ عقابه، وترد حق زوجها الذي قُتل غدرًا، ولم يمنع حقًا، أو يؤذي نَفسًا، أو يقسى على ضعيفٍ، بل كان رحيمًا يُعامل الله في الناس بطيب عملٍ.

اشتعل رجال العائلة من قراراتها التي تفرضها عليهم جميعًا، ولا يمنعها "عبد الله" قولًا أو فعلًا، بل يؤازرها ويدعم كُل ما تُقرر.

تم التحقيق مع فردين فقط ممن تواجدوا أثناء وقوع الجريمة داخل مقر النيابة، وبعد ذلك طلب ضابط الشرطة اجتماع كُل أفراد العائلة ورؤيتهم عند مجيئه إلى القصر مرة أخرى، فتساءل الكُل عمَّا يدور في عقله ولِمَ قرر الاحتفاظ بنتيجة الطب الشرعي عازمًا النية على التصريح بها بعد أن تجتمع عائلة الزيني دون نقصان إلا في حالة الموت.

استقبله "عبد الله" بحفاوة شديدة، دخل الأخير وهو يتنقل ببصره

بينهم ويرميهم بتساؤلات كثيرة حتى أنه كان يقف أمام كُل شخص على حِدَة، ويتعمق في النظر داخل عينيه لدقائق معدودة فقط قبل أن ينتقل للشخص التالي، فعل ذلك تِباعًا حتى انتهى من هذا الاتصال البصري بشكل دقيق، استدار بعينيه أخيرًا إلى الأب، ثم قال بصوت هادئ:

-حاج عبد الله.

انتبه "عبد الله" بكُل حواسه له؛ فتابع ضابط الشرطة بابتسامة فاترة:

-مدام فاطمة كانت صح.

ارتفعت شهقات الجميع في نفس واحد يتساءلون باستنكار هل جاء إليهم بالخبر الأكيد أو أنهُ يحاول جسَّ أعصابهم والحالة الراهنة التي سوف يقعون فيها بعد تفجير هذه القنبلة، عمَّ الهرج والمرج داخل ردهة القصر، بينما هتفت "فاطمة" تقول بصوت مُتأجج يشوبه رائحة العداوة والبغضاء:

-مش قولت لك، إن جوزي اتغدر بيه!.

تنقل ضابط الشرطة بنظراته بينهم، ثم أكمل بوجه مُكفهر مستنكرٍ:

-تقرير الطب الشرعي بيقول إن المجني عليه مات مسموم والمادة اللي دخلت جسمه، مادة سامة سريعة المفعول واسمها «زرنيخ».

صاح "غالب" منفعلًا بوجه متجهم حزين:

-مسموم؟!

ضابط الشرطة بصوت حاد مُتهكم:

-مسموم جوًّا بيته!

حدق "أنور" فيه مصدومًا، ثم أردف بصوت مُتحشرج:

-مسموم إزاي؟! ومين هيسمه ومحدش غريب دخل القصر!.

رياض يرمق المحقق شزرًا ثم يصيح:

-إيه يا باشا، إنتَ جاي توقعنا في بعض؟!!

رفع "سليم" أحد حاجبيه، وهو يتفرس بدقة تفاصيل وجه كلًا منهم مُحاولًا استنتاج بعض الأمور الخفية التي تدور بينهم، ولا يرى منها شيئًا، يتساءل بحيرة هل القاتل من بينهم؟! هل يصير الدم ماءً؟ وتقتل النفس أرحامها؟ هل صار البشر أقسى قلبًا من الحجارة؟ فتخشى الهرة على صغارها، فتجدها تقاتل بشراسة من أجلهم ولا بأس أن تبرز أنياب الليث القابع خلف هيئتها الأليفة.

أطرق "سليم" قليلًا قبل أن يتشدق بصوت جافٍ:

-تسمعوا عن المجرم المُثقف؟!

حاول الجميع استيعاب ما يرمي إليه، فيما أكمل برباطة جأش يشرح:

-المجرم الشاطر اللي مش بيسيب أثر وراه، من الآخر قادر يحيرك ويجبرك تقفل ملف القضية ضد مجهول، وإنتَ راسك في الأرض من الخزي.

لم تهمد نيران حُرقتها؛ فهتفت "فاطمة" بصوت حانقٍ تستفسر:

-يعني إيه يا حضرة الظابط؟

سليم يتابع بوجه عابس يُحيطه اليأس:

-يعني للأسف مش موجود غير بصماته بس

فاطمة تهب واقفةً في مكانها ثم تقول باختناق مُعترضٍ:

-يعني أنا جوزي جاع بالليل فقرر يعمل لنفسه أكل، لأ ويروح ياكل في الجنينة تحت المطر ويولع شموع علشان الأجواء تزيد إثارة ورومانسية!!!

سليم يجيبها مومئًا في ثبات:

-بس المجرم الشاطر دا ساب وراه دليل في مقتل.

لمعت عينا "فاطمة" وهي تحدق فيه بأمل قد بُعث من جديد بعد أن توارى أسفل ثرى الأحزان والمآسي، صاح "عبد الله" يقول متلهفًا وهو في حيرة من أمره:

-يعني القاتل اتعرف يا حضرة الظابط!!!

سليم يصرح بصوت أجش صارم:

-المجني عليه دخل في اشتباك مع شخصٍ ما قبل ما يموت مُباشرة وحصل بينهم خناقة بالإيد.

غالب منفعلًا بحسرة على فقد خيرة شباب العائلة:

-ودا معناه إيه؟!

ضابط الشرطة يباشر كلامه بصوت حادٍ:

-معناه إن لازم يكون في أثر على جسم القاتل نتيجة الاشتباك دا!!!

صاح "أنور" بصوت مخنوقٍ:

-يبقى يتكشف علينا كلنا.

تنحنح "سليم" بخشونة قبل أن ينظر للثلاث سيدات ثم يقول بهدوءٍ:

-بدون استثناء!!!

كانت "رَغد" زوجة أنور تقف بجواره، بينما تقف كريمة مُدبرة القصر في أول الممر المؤدي إلى المطبخ، قضب "رياض" حاجبيه ثم هدر مُحتدًا بالغضب:

-آسف يا سليم بيه، حريمنا مينفعش يطبق عليها الإجراء دا.

صاح الجميع مؤكدين بحمية مُشتعلة جعلت الأخير يحسم الأمور ببضع كلمات موجزة وناهية:

-تمام، نشوف إجراء غيره.

أنور باستفسار مُهتم:

-إيه هو؟!!

سليم بلهجة صارمة لا تقبل المناقشة أو جذب طرف الحديث والتفاوض:

-تحليل DNA سريع وعاجل لكل فرد فيكم، ودا أمر عاجل من وكيل النيابة هيوصل لكم في خلال ساعات.

تبادل الجميع نظرات تساؤلية فيما أردف "عبد الله" بنبرة حائرة:

-ودا إيه علاقته بالمصيبة اللي إحنا فيها يا سليم باشا؟!

استدار "سليم" نحوه، ثم تابع بحزم وتريث:

-العلاقة هتعرفها مع الوقت، بس دلوقتي مش هقدر أجاوب على أي أسئلة، دا وقت التنفيذ وبس.

تنقل ببصره بينهم، ثم قال بصوت رخيم ثابت:

-ولحد ما نتيجة التحاليل تظهر واللي بتاخد وقت هنحتاج نعمل تحقيق ونسمع لإفادة كُل فرد منكم على حدة، ودا بردو هيتم في النيابة مع

"عزام بيه" وكيل النيابة.
تكلم "رياض" بلهجة حانقة:
-تسمع إفادتنا بخصوص إيه؟! إنتَ شاكك في حد فينا؟! إحنا أهله يا حضرة الظابط وعمر الدم ما يبقى ميه!
سليم مبتسمًا بفتورٍ:
-أوقات بيكون مية، وميه عِكرة كمان، عكرها غدر أقرب الناس لينا.. زائد إن كاميرات القصر الخارجية ما رصدتش دخول حد غريب للقصر يوم ارتكاب الجريمة، يعني الجاني قاعد وسطنا دلوقتي.
تنهد "أنور" تنهيدة تائهة تعبق بحرارة عميقة ثم تكلم بتيه وضيق أفق:
-وإيه علاقة قتل فهد بتحليل الDNA
سليم مُجيبًا بصوت أجش حاسمٍ:
-المجني عليه قبل ما يموت كان ذكي، قدر بذكائه يساعدنا في التعرف على القاتل لأنه قدر يتحصل على عينة من دم الجاني تحت ضوافره وقت الاشتباك، وبعد ٤٨ ساعة هنستلم من الطب الشرعي تحليل DNA لعينة الدم اللي موجودة تحت ضوافر المجني عليه ووقتها هنطابق العينة مع تحاليلكم!!!!!!

*****

”تتأرجح الحقيقة طويلًا ؛ فتارةً تراها مُبهمة ، وأخرى أبعد ما يكون عن توقعاتك ، ولكن في النهاية تنجلي صريحة كرؤيتك لقرص الشمس الحارق في وضح النهار“.

# ليلة غدراء

غاب رونقُ السماءِ هذه الأُمسية فأضحت ليلة غدراء، وخَفَتَ تلألُؤ النجوم فيها، راحت السماء ترعد وتبرق تباعًا حتى اشتد الريحُ وهطلت الأمطار بغزارة كبيرة، وكأنما تبكي رثاءً في غياب الإنسانية التي لفظت آخر نَفسٍ بها في هذه الدُنيا، زوت ما بين عينيها دهشةً حينما تحسست الفراش بجوارها ولم تجده، استدارت بعينيها نحو المُنبه تستبين الوقت من خلاله، وقد وجدته وقت السّحر الذي يختلي فيه زوجها إلى نفسه، ويتعبد إلى اللّه ثم يعود إلى غرفتهما مرة ثانية ويخلد إلى النوم.

اعتدلت في نومتها جالسةً وهي تنظر إلى ستار الغرفة الذي يهتز بحركة خفيفة رغم إحكام غلقها للنافذة، سحبت نفسًا عميقًا إلى صدرها حينما شعرت برائحة المطر تداعب أنفها الدقيق في تمنٍّ؛ فدومًا تخبره بأنها تتنبأ بقرب سقوط الأمطار من خلال خياشيمها الاستشعارية فيضحك غير مُصدق حتى تسقط الأمطارُ بعد سويعات أو دقائق من حديثها، تعشق رائحة المطر فيما ينكر وجود رائحة له، أسرعت بالنهوض تتقفى أثر الرائحة حتى وقفت أمام النافذة المُغلقة، أزاحت الستار قليلًا حتى تتمكن من رؤية السماء لعل ظنونها تقع في محلها، رفعت بصرها للسماء ووجدتها مُلبدة بالغيوم؛ فبرقت

ملامح وجهها سرورًا بمجيء المطر، وأول ما جاء إلى عقلها أن تهرول إلى زوجها وتطلب منه الخروج معها إلى حديقة القصر كي تستقبل سقوط الأمطار دون حائلٍ؛ فتدعو، تنادي وتصرخ حتى يغسل المطر قلبها المكلوم في حسرة كما يفعل بالأرصفة والسيارات فتزهو من جديد.

في غضون تأملها للسماء وبعد أن اتخذت القرار بالذهاب إليه، همَّت أن تُغلق الستار مُجددًا؛ ولكنها أبصرت خيالًا يجلس على إحدى الدِكاك القابعة بالحديقة؛ فتعجبت لذلك ثم تمتمت بصوت خافتٍ:

-مين اللي سايب أوضته وقاعد في البرد والمطر دا؟!

أحدَّت البصرَ إليه ولكنها لم تتعرف عليه بَعد فتركت الستار ثم أسرعت نحو الأريكة المجاورة للفراش والتقطت سُترة صوفية طويلة وراحت تلف جسدها بإحكام قبل أن تخرج من الغرفة إلى مكتب زوجها، دقت الباب بهدوءٍ مرة ثم الثانية ولم تحصل على رد منه فقررت الدخول لعله نائمًا فتوقظه إلا أنها لم تجده في مكانه المُعتاد الذي يلوذ إليه فرارًا من همومه.

انتفض قلبها بين ضلعيها بهلع تتذكر الخيال الذي رأته قبل قليل من نافذة غرفتها، هل زوجها يا تُرى؟! وإن كان فما الذي يُجلسه في ذلك البرد القارسِ، وتحت الأمطار الغزيرة التي لا يحب الاقتراب منها بشكلٍ مُباشرٍ!!!

تجذفت في سيرها خارج المكتب، وعلى الفور هبطت درجات السلم

وهي تتلفت حولها ربما تجده هنا أو هناك فلا يكون هناك داع للقلق الذي تسرب إلى نفسها المُطمئنة من بعد عناء حتى زعزع استقرارها، فتحت باب القصر بتوجسٍ وقررت أن تقصد المكان الذي رأت فيه ذلك الخيال والذي يقع في الحديقة الخلفية التي لا تطل عليها سوى نوافذ غرفتهما فقط.

كانت تسير بحذر وهي تشد السُترة على جسدها ما أن سرت به رجفة خفيفة، أحدت البصر مرة أخرى ولكن هذه كانت عن قُرب حتى تأكدت ظنونها وهي تتعرف عليه من ظهره، شهقت دهشةً ثم أردفت بخفوت وهي تسعى إليه:

-معقول!

اقتربت منه على الفور، ثم وضعت راحتها على كتفه أثناء وقوفها خلفه وراحت تعاتبه بصوت مخنوقٍ:

-حبيبي، بتعمل إيه في البرد دا؟! ومن إمتى بتحب تقعد تحت المطر!

كانت الرؤية غير واضحة حيث ينبعث الضوءُ من نور القمر فقط، عبست في قلقٍ عندما لم تجد منه إجابة وراحت تستدير كي تتمكن من رؤية وجهه إلا أن قدميها تعرقلت في أحد أرجل الطاولة الموجودة أمامه فتجنبتها حتى وقفت أمامه وكانت الطاولة في المنتصف بينهما، ابتلع ريقها على مهلٍ ثم تابعت بنبرة مُتحشرجة تخرج بالكاد:

-مش بترد عليا ليه؟! إنتَ نمت هنا ولا إيه؟

تذكرت أنها تحمل هاتفها في جيب السترة فأسرعت بالتقاطه ثم

أضاءت المصباح الموجود في نظامه وقبل أن تصلب الضوء نحو زوجها رأت بعض الصحون التي تمتلئ بالطعام على الطولة؛ وكذلك شمعتين قد انطفأ ضوئهما بفعل قطرات المطر الساقط عليهما وكوبين من عصير البرتقال اللذين اختلطا بماء المطر حتى فاضا على جانبيهما، برقت بعينيها ذُعرًا وهي تنتقل بضوء المصباح إلى وجه زوجها وما أن نظرت إليه حتى وجدته يحدق فيها بعينين جاحظتين لا يرف لهما جفنًا؛ فانطلقت من بين شفتيها صرخة مدوية تصم لها الآذان وتبكي على إثرها القلوب المُشفقة وتخشاها أسراب الطيور فتتفرق قائلين بأسف:

-"جريمة شنعاء جديدة تقتضي بموجبها لفظ الإنسانية آخر أنفاسها، تفرقوا قبل أن نُصرع في هذه الغابة بُغتة وهوان كما يفعلون ببني جنسهم".

سرحت بتفكيرها إلى هذه اللحظات التي اكتشفت فيها جريمة قتل زوجها المسالم في شمائله، تذكرت كُل تفصيلة بالحدث حينما سألها وكيل النيابة "عزام" وقت التحقيق سؤالًا وحيدًا:

-اوصفي لي لحظة اكتشافك للجريمة بالظبط؟!

سردت كُل ما استرجعه عقلها عن هذه اللحظة، وكان يستمع إليها بإنصات ودقة، حاولت أن تُلملم شتات نفسها المنهارة في قهرٍ فكانت تصمت قليلًا حتى تلتقط أنفاسها الثائرة ثم تعود وتحكي حتى تمكن "سليم" في النهاية من التقاط عبارات سليمة وواضحة، كانت تجلس "فاطمة" إلى طاولة مستطيلة داخل غرفة نائية بمقر النيابة العامة

لمباشرة التحقيق الجنائي حول الواقعة، فيما جلس وكيل النيابة أمامها مُباشرة، ثم تابع تحرياته التي تستقطب إجابات شافية ومحددة عبر كلماتها غير المُرتبة:

-تفتكري مين اللي له مصلحة في قتل جوزك؟!

مطت شفتيها حيرةً وراحت تقول بنبرة متقطعة من كثرة البكاء:

-حقيقي مش عارفة!

أطرق "عزام" بتفهم لازدياد حالتها سوءًا، ثم شرع في عرض سؤالًا جديدًا يثير عدة تساؤلات في عقله:

-احكي لي يا فاطمة عن ابنك اللي مات، الكلام دا حصل إمتى؟ ومات إزاي؟!

كانت تقبض بأناملها على منديل ورقي، فأسرعت بمحو العَبَرات المنسابة على وِجنتيها باستخدامه ثم تكلمت بمرارة وحسرة:

-مات يوم السبوع من ٣ شهور.. مش عارفة مات إزاي وليه؟! راح مني في غمضة عين مع إن الدكتور أكد لي إنه بخير وصحته كويسة!

انتحبت تخرج شهقة مكتومة ثم أكملت:

-رضيت بالمقسوم وقولت له يارب عوض صبري على الابتلاء دا بالخير، ودفناه ولحد دلوقتي مش عارفة ابني مات إزاي؟!

ضيق "عزام" عينيه قبل أن يطرح سؤاله الدقيق:

-شكيتي للحظة إنه مات بفعل فاعل؟!

هزت رأسها إيجابًا وراحت تقول بمرارة تسري داخل جوفها:

-شكيت بس مقدرتش أقول، ببساطة لأن مفيش دليل على كلامي

ومش عارفة مين قاصد يدمر لي حياتي بالطريقة دي!
اِفترَّ ثغر "عزام" عن اِبتسامة هادئة قبل أن يسألها بتعاطف:
-سمعت إنك خلفتي الولد بعد مُعاناة وجري على الدكاترة!!
فاطمة بكسرة ترد:
-سنتين.
حك "عزام" جبهته قبل أن يسألها بحرص وحيطة:
-جوزك كان له أعداء من داخل العيلة أو خارجها؟!.
أومأت سلبًا ثم أردفت بصوتٍ خفيض:
-فهد جوزي كان محبوب من الكُل، وطول الوقت مهتم بشغله مظنش عنده عداوات توصل لدرجة القتل!
تابع بإيجاز وهدوء:
-تمام يا مدام فاطمة، تقدري تمشي دلوقتي.
استقامت عن مقعدها بقامة محنية كأنما انكسرت شوكتها في معركة لا تفقه عنها شيئًا ولا تعلم مَنْ مِنْ بينهم يكون عدوها اليقين؟!!.. سارت تجر ساقيها بعجز مهين لم تشهده يومًا حينما كان زوجها على قيد الحياة والآن تعاصر عجزًا من نوع آخر، عجزٌ عن الثأر والانتقام لحق زوجها المغدور وكيف تثأر من مجهول لم تتضح هويته بَعد؟!!
انتظر "عزام" خروجها ودخول الفرد التالي من تلك العائلة التي تدور المكائد والمؤامرات الخفية بين أفرادها، فقد قرر الاستماع إلى إفاداتهم الواحدة تلو الأخرى في محاولة منه لإعمال الفكر على الاستقصاء والسعي وراء الحقيقة المستترة.

كان "عزام" يجلس على كرسيه بصورة مُعاكسة ويستند بذراعيه وذقنه على ظهر المقعد، وما أن دخل "عبد اللّه" حتى تدبر الأخير ابتسامة خفيفة، ثم طلب منه بأسلوب منمق أن يجلس أمامه لإلقاء بعض الأسئلة والحصول على إجاباتها في غضون دقائق قليلة، استجاب "عبد اللّه" لحديثه؛ فألقى بجسده على الكرسي كمن يرمي بهمومه أولًا، لاحظ "عزام" إحاطة جفونه بهالات سوداء فأدرك بأن عينيه لم تذق سِنة من النوم حتى، تنحنح بهدوءٍ قبل أن يتكلم:

-محتاج إجابة على كام سؤال مش أكتر يا حج عبداللّه لأن واضح التعب عليك فمش عاوز أتعبك أكتب من كدا.

عبد اللّه وهو يرد بصوت مخنوقٍ لا طاقة فيه:

-تحت أمرك يا ابني!.

عزام مومئًا بتقدير قبل أن يتابع تحرياته:

-سمعت أن أصولك من محافظة سوهاج وإنك جيت القاهرة من كام سنة بس!!

أومأ "عبد اللّه" مؤكدًا كلامه حينما قال:

-فعلًا، أنا من سوهاج بس ليا أصدقاء كتير من القاهرة لأني متخرج من جامعة القاهرة، ولمَّا ورثت من أبويا بعد موته، قررت أجي مصر وأعمل مشاريع خاصة بيا هنا، وكمان أعيش في بيئة مناسبة لطريقة تفكيري وأحلامي وقد كان، أنا كبرت وولادي مسكوا كُل حاجة في الشركات وقدرت بيهم أحقق نجاح كبير أوي.

باغتهُ "عزام" بسؤال هادئ:

-مخلفتش غير ولدين بس!
ابتلع "عبد الله" غِصَّة مريرة في حلقه وقال:
-أنور والمرحوم فهد.
بدأ "عزام" في شبك أصابعه سوية، قبل أن يواصل باستطراد وحيطة:
-مكنتش بتلاحظ أي غيرة بين ولادك!!
أسرع مُجيبًا باستنكار:
-مستحيل، أنا مربيهم على الحب ومساندة بعض في كل أزمة، أنور ابني يضحي بحياته علشان أخوه وكذلك فهد.
قام بتغيير مجرى السؤال:
-علاقة فهد بمراته؟ لأي درجة مُستقرة؟!!!
عبد الله مطرقًا برأسه عدة لحظات قبل أن يقول بنبرة تحمل بين طياتها الكثير من إشارات الثناء وعبارات الرضا:
-أبويا زمان قال لي، هتفضل طول حياتك تسأل نفسك أنت محظوظ ولا لأ! لحد ما ربنا ينعم عليك بزوجة تدوق جمال حظوظ الدنيا بمجرد ما قدمها تخطي بيتك.
سكت لبُرهة ثم أكمل بهدوء:
-هي دي فاطمة، قدمها خير على ابني، وكانت في حياته ونعم الزوجة.
أومأ "عزام" متشبعًا بما حظى عليه من إجابات، شكر الأخير وطلب منه أن يذهب إلى بيته ويأخذ قسطًا من الراحة وإلا تدهورت صحته؛ فعلى غير العادة وجد "عزام" صعوبة في إقصاء الجانب العاطفي له

تجاه ذلك الرجل الذي بدا على مُحياه الطيبة والوقار حتى أنه يذكره بوالده في كثير من السمات.

انتظر حتى غادر ثم نكس رأسه في حيرة بعدما تشابهت الأمور عليه؛ فلم يكن بقدر كاف من الصبر الذي يجعله ينتظر ظهور نتيجة التحاليل التي تصطحب معها الحقيقة المؤكدة؛ ولكنه دومًا ما يفضل ألا ينقص من التحقيق الجنائي خطوة حتى لو هناك ألف دليل بين قبضتيه؛ فلا بد أن يجلس أمام المشتبه به ويمعن النظر طويلًا داخل عينيه ويستشف بعض الأمور التي تُقال في لحظة توتر واستجواب.

في تلك اللحظة، دخل الفرد الثالث من العائلة والذي يقع ضمن دائرة المشتبه بهم، سارت نحوه بخطوات مترددة وقد غلفها هالة من التوتر فما كانت تسير خطوتين إلا وتتعرقل، أشار لها أن تجلس حيث المقعد ففعلت على مضض، عقد "عزام" حاجبيه مدققًا النظر في تفاصيل وجهها المُرتبك، ثم تكلم في النهاية بصوت هادئ مقدرًا تعرضها لمثل هذا الموقف للمرة الأولى:

-اتفضلي اقعدي يا مدام رَغد.

تكلمت همسًا ولم يصل حديثها إلى سمعه، ولم يطلب منها أن تكرر ما نطقته، كانت تتجنب النظر إليه، فيما أردف يسألها باهتمام:

-هسألك شوية أسئلة ومحتاج إجابة ليهم ومفيش داعي للتوتر خالص.

نطقت بصوت خفيضٍ:

-تحت أمرك!

أومأ "عزام" ثم قال باهتمام:

-جوزك يعتبر كبير العيلة بعد والده، هل كان في بينه وبين أخوه أي مشاكل؟!

أجابته دون تفكير:

-نهائي، فهد وأنور علاقتهم قوية أوي ببعض.

عزام مُستفسرًا بفضول:

-عندكم أولاد؟

احتل الحزن ملامح وجهها بصورة واضحة وراحت تقول بصوت مخنوقٍ:

-للأسف.

تنحنح "عزام" بروية قبل أن يعتذر قائلًا بثبات:

-آسف لو كُنت بتدخل في أمور شخصية، بس يهمني أعرف المشكلة من مين فيكم؟!.

صمتت قليلًا وهي تعض على شفتها السفلى بتوترٍ ثم في النهاية صرحت بخفوت:

-منه.

حدق فيها لدقيقة فحسب قبل أن يباغتها بابتسامة هادئة ثم يقول:

-تمام يا مدام رَغد، تقدري تتفضلي.

أومأت برأسها ثم نهضت وترجلت خارج الغرفة على الفور بينما بقيت نظراته مُصلبة عليها حتى غابت عن مرأى عينيه وظهر شخص آخر

أمامه، تحرك "أنور" وجلس على الكرسي فورًا، تفرسه "عزام" قليلًا قبل أن يقول بهدوءٍ:
-أستاذ أنور، سمعت من إفادة والدك وزوجتك إنك كُنت أكتر شخص مُقرب للمجني عليه، حابب أسألك لو حسيت بتغيير في شخصية المجني عليه الفترة الأخيرة أو كان في مشاكل بينه وبين حد في شغله أو في العادي!
تابع أنور بنفي قاطعٍ:
-فهد كان شخص محبوب وبعيد كُل البُعد عن المشاكل.
كرر "عزام" ذلك السؤال رغبةً في توحيد الإجابة من قِبل كليهما، فسأل مترقبًا:
-سمعت إنك مش عندك أولاد، ممكن أعرف المشكلة منك ولا من زوجتك؟!.
قطب "أنور" ما بين عينيه دهشةً حينما فاجأه المحقق بسؤال كهذا، أشاح بوجهه للجهة الأخرى قليلًا ثم عاد ينظر إليه ويتشدق بثبات:
-منها.
انبسطت عقدة حاجبيه وهو يرى تعارضًا واضحًا في أقاويلهما، أظهر اقتناعه بالإجابة وبدا غير مبالٍ باختلاف تصريحات الطرفين المُثيرة للشكوك ثم قال بنبرة ثابتة:
-كُنت فين وقت وقوع الجريمة؟!.
تنهد "أنور" بعُمقٍ وطال تفكيره قبل أن يقول:

-دا يوم الأجازة الوحيد عندي وبقضيه كله برا البيت وبرجع متأخر ووقتها رَغد مراتي اتصلت بيا وبلغتني الخبر.

شكره وكيل النيابة وغادر في الحال ودخل الغرفة غيره، مشى "غالب" إلى الكرسي في تروٍ وثبات وما أن جلس عليه حتى أردف بصوت ثابت:

-أستاذ غالب، عم المجني عليه، محتاج إجابة على بعض الأسئلة.

غالب مُرحبًا بهدوء:

-مع حضرتك، اتفضل.

تكلم "عزام" مُستفسرًا باهتمام تجلى في نبرة صوته الخفيضة:

-إنتَ شريك أخوك في شركاته ومشاريعه!!!

غالب يومىء سلبًا ثم يفسر:

-لأ كل واحد فينا خد ورثه وعمل بيه مشاريع مستقلة وكبرها بمعرفته.

دقق "عزام" النظر داخل عينيه ثم طرح عليه سؤالًا جديدًا:

-أخبار علاقتك بأخوك وأولاده؟!!

غالب بنبرة ثابتة:

-بينا كُل خير، نحمد الله.

عزام بفضول:

-شاكك في حد؟! أو بمعنى تاني، المجني عليه كان له أعداء!!!

غالب بتنهيدة ثقيلة يرد:

-فهد لو ما اتحبش مستحيل يتكره يا بيه.

شكره "عزام" وغادر بعد الانتهاء من الإدلاء بإفادته، زفر زفرة طويلة وقوية وراح ينبش مقدمة رأسه بتيه وفقد اتزان إلى أن سمع وقع أقدام

شخص تقترب منه، رفع بصره إليه ثم طلب منه الجلوس، تنحنح "عزام" بثبات ثم أردف:

-إزيك يا رياض!.

رياض بصوت ثابت:

-الحمد لله على كل حال.

أومأ وكيل النيابة في هدوءٍ ثم سأله بترقب:

-كلمني عن علاقتك بالمرحوم!

أجابهُ "رياض" بصوت غليظ:

-ما إنتَ عارف يا باشا إننا ولاد عم!

ابتسم "عزام" بمكرٍ وهو يقول بصوت هادئ:

-لا مقصدش القرابة اللي بينكم، أقصد العلاقة اللي بينكم؟!.. زمالة.. صداقة.. أخوة.. كدا يعني!

تنهد "رياض" تنهيدة طويلة ثم تكلم على مضض:

-أنا وفهد مش صحاب أوي بس في وقت الشدة كُنا بنتعكز على بعض.

ضيق وكيل النيابة عينيه ثم تساءل مترقبًا قوله:

-ويا ترى في الفترة الأخيرة دي كان بيمر بوقت شدة واتعكز عليك فيه!!

رياض متبرمًا من رتابة أسئلته السمجة:

-لأ.

نجح "عزام" في استقراء ما يدور في خلده من مجرد النظر إلى عينيه وكذلك قراءة ملامحه المتبرمة في صمت، تنحنح بخشونة قبل أن

يطلق سؤاله الذي يستوجب الاختيار بين أيهما:
-أبوك أغنى ولا عمك؟!!
رمقه "رياض" بنظرات جامدة وكأنما يستفسر عن تبجحه وتدخله في هذه الشؤون ولكنه تكتم على ما يدور في نفسه وقرر أن يجيبه بإيجاز وحنق:
-عمي.
تنهد "عزام" بثبات ثم شكره وغادر الأخير في الحال، نهض عن كرسيه وراح يذهب ويأتي بين جدران الغرفة في حالة من الاستلهام والتعمق، لا يسعه أن ينتظر حتى تأتيه النتائج فيود أن يتوصل إلى الحقيقة بقدرته الاستشعارية على فضح الجاني كما يفعل في كُل جريمة يقع التحقيق فيها على عاتقه.
نبش مقدمة رأسه فور انتهاء التحقيق ثم تمتم بصوت خفيضٍ:
-زيّ ما قال سليم بالظبط، الحكاية فيها ريحة ورث!!!!

*****

**"داعم الحقيقة هو أول من ينبذها إن كثُر سلك الناس للطرق المُغايرة لتلك الحقيقة، أما داعم الحق فيسير وحيدًا حتى يطبقه أو يموت عليه؛ فمُحال أن ينزل عن الحق قدر إصبعٍ".**

## التباس

فرشت مصليتها على الأرض، سالت دموعها بغزارة على وِجنتيها وهي في حالة من الانهيار الكامل فما كان منها إلا أن سكنت بين يد الله تتضرع إليه، خارت قواها فسجدت وطال السجود وبصوت وَهِن شرعت تدعي وتشتكيه بثها وحزنها الذي يتعمق في قلبها كُل ليلة وأثره لا يُمحى ولا يهدأ، تبكي منذ ساعات طويلة وكلما يطرق بابها أحد يجدها ساجدةً على مصليتها ولا تخاطب أحدًا منذ ليلة أمس.

سقطت عَبرة مُلتهبة من عينيها وارتطمت بالأرض وراحت تقول بصوت هامسٍ مكلومٍ بعد أن فرغت من صلاتها:

-"ولا تايئَسُوا من روحِ اللّهِ".

ابتلعت غِصَّة مريرة في حلقها ثم أكملت:

-صدق الله العظيم.

لحظات وسمعت دقات خفيفة على باب غرفتها، لم تتكلم أو تتجاوب حتى مع الطارق، فقرر أن يدخل إلى الغرفة بعد شعوره بالقلق عليها، في هذه اللحظة تكلم "عبدالله" بصوت هادئ:

-فاطمة!!

رفعت بصرها إليه فوجدته ينظر إليها بعطف ممزوج بالحزن، كانت عيناها حمراوين تحيطهما الهالات السوداء، تحرك "عبد الله"

ماشيًا إليها، حتى قرر الجلوس أمامها والتكلم معها بحرية وبعيدًا عن مسامع وأنظار البقية.

-حق فهد مش هيرجع بالعياط والحبس يا فاطمة!.. كفاية عياط دموعك غالية عليَّا.

أطرقت برأسها في وَهَنٍ ثم خرجت عن صمتها وهي تقول بقنوطٍ وعجزٍ لا يليقان بما أظهرت من صبر عظيمٍ:

-دموعي مش أغلى من اللي راح مني يا عمي.

عبد اللّه يطيب خاطرها ببضع كلمات:

-ربنا يجبر كسر قلبي وقلبك يا بنتي.

شرعت تجهش باكيةً بصوت مبحوح وقالت:

-اليوم بيعدي تقيل أوي في غيابه، حاسة بصعوبة في كل حاجة، مش قادرة أتنفس، عايزة أصرخ زيّ العيال الصغيرة وأقول لكم رجعوا لي فهد، مش متخيلة إنه مش هيبقى موجود في يومي وإن تليفوني مش هيرن باسمه تاني علشان يسألني صليتي ولا لأ!.. هو فهد مات بجد وسابني!!.

اهتزت جدران قلبه بصدعٍ جراء كلماتها التي قسمت قلبه إلى شطرين، حاول أن يواسيها ولكنه فشل مُستسلمًا أمام انهيارها فقال بصوت باكٍ:

-لا حول ولا قوة إلا باللّه، ربي أسألك اللطف الخفي فيما قضيت فيه.

قطع حديثهما في غضون ذلك، صوت صياح يأتي من الخارج، قطب "عبد اللّه" ما بين عينيه متوجسًا وهو يستند بذراعيه ثم ينهض

فورًا، أسرعت "فاطمة" بمحو عَبراتها وهي ترمقهُ بقلقٍ ثم تنهض خلفه بسرعة، خرج أولًا وتبعته هي ليجدا صوت صياح مُدبرة المنزل "كريمة" وهي تهرول إليه ثم تقول بأنفاس لاهثة:

-الحق يا حج عبد الله، أنور بيه بيتخانق مع مدام رَغد وبيضربها.

ضرب "عبد الله" كفًا بالآخر وأسرع على عجلة من أمره نحو غرفة ابنه وزوجته وما أن وصل حتى طرق الباب بقوة ثم صاح بصوت جهوري:

-أنور!!!

كرر ندائه بصوت أكثر حدةً وعلى إثره فتح "أنور" باب الغرفة فيما أردف "عبد الله" بحدة يسأل:

-إيه اللي بيحصل بينك إنتَ ومراتك؟!

أنور وهو يقول بصوت أجش صارم:

-كان لازم لها علقة لأنها أتجننت على الآخر.

دفعه "عبد الله" بقوة ثم نهره بغضب شديد:

-إنتَ اللي شكلك أتجننت، بتضرب مراتك يا حيوان يا معدوم الأدب.

في تلك اللحظة، هرعت "رَغد" إليه ثم صاحت بصوت باكٍ تعرب من خلاله عن احتجاجها عمَّا فعله بها:

-إبنك مد ايده عليا علشان طلبت أزور أمي المريضة!.

أنزلت بصرها إلى عنقها الذي أُصيب بخدوش عميقة وسال الدم منها ثم صرخت بصوت مبحوح:

-تقدر تقول لي يا عمي أنا غلطتٍ في أيه علشان يتعمل فيا كُل دا؟!!

أنور وهو يرميها بنظرة جامدة ثم يهدر:
-مفيش خروج من البيت لحد ما الظروف اللي إحنا فيها دي تنتهي وكلمة كمان هتخرجي من البيت دا من غير راجعة.
ألقى حديثه المستعر غضبًا ثم غادر دون أن يستمع لأحدٍ، استدار نحو "رَغد" ثم أردف بصوت هادئ رغم اختناقه:
-جوزك مضغوط يا بنتي متزيديش على همومه.
سكت لبُرهة ثم أكمل:
-استهدي بالله وعالجي جرحك وحقك عليا أنا!.
اغرورقت عيناها بالدموع ثم استسلمت لاستجدائه وهي تقول بصوت مُتحشرجٍ:
-ماشي.
كانت "فاطمة" تتابع الحديث الدائر بينهم دون تدخل، لم يكن عقلها يعينها على الاستماع لعراكهما أو التدخل لحله؛ فظلت تراقب الأمر في صمت، بينما عقلها يستحضر مشهدًا آخر حيث غرقت في تفاصيله الدقيقة منها والسطحية.

*****

## قبل عام مضى

-واخدني على فين يا فهد؟!
أردفت تسأله بتذمرٍ وهي تسير متوجسة الخطى أمامه بينما يعين خطواتها على الاهتداء في الطريق الصحيح بعدما وضع راحتيه على عينيها لتغطيتهما، سار بها إلى نهاية الممر ثم انعطف وهي أمامه

يمينًا إلى أن طلب منها أن تلمس الباب الذي تقف أمامه فبدأت تتحسس الباب بهدوءٍ حتى وصلت إلى المقبض وأدارته فقال "فهد" بصوت هادئ:

-ادخلي برجلك اليمين يا شابة!

أحدثت كركرةً بضحكها وهي تسير في طريقها بترقب وحماس وما هي إلا لحظات حتى حرر عينيها، فبدأت ترمش برؤية مشوشة ولم تمر دقيقة إلا وكان كل شيءٍ بالمكان واضحًا لها، حدقت في تفاصيل الغرفة بعينين جاحظتين تفيضان بالسرور الممزوج بالدهشة وبنبرة حماسية صاحت:

-مش مصدقة، إيه الجمال دا؟! لحقت عملت الأوضة إمتى؟!!

اقترب "فهد" منها ثم احتضنها من الخلف وراح يضع راحته على بطنها الذي لم ينتفخ بعد وبصوت دافئ قال:

-كُنت بدخل العمال في الخباثة كدا علشان متحسيش بحاجة، عجبتك يا أم عُمر!!!

فاطمة وهي ترد بقلب مُنشرح:

-تُحفة أوي، ربنا يبارك لي فيك وتعدي الشهور دي على خير ونشوف إبننا سليم مُعافى.

مال بوجهه يقبل وِجنتها ثم قال بتمنٍّ:

-بعِدّ الأيام والساعات، أنا هيتقال لي (بابا) أخيرًا!!

استدارت تواجهه بعينيها ثم مالت قليلًا حتى لصقت جبهتها بخاصته وبصوت هادئ قالت:

-أخيرًا بعد سنتين ربنا طبطب على قلوبنا.
أغمضت عينيها لثوان، ثم تابعت بابتسامة خفيفة:
-تعرف إن من طفولتي كان عندي هواجس غريبة، زيّ إني لمَّا أتجوز مش هخلف ولو ربنا رزقني بطفل هموت وأنا بولده.
عقد "فهد" ما بين حاجبيه ثم أردف باستنكار:
-أعوذ بالله، دي هواجس واحدة بائسة اتسرق منها الشوكولاتة اللي كانت مخبياها في الفريزر أو خط الآيلاينر بتاعها طلع مش مظبوط.
قهقهت بصوت عالٍ فبادلها الضحك قبل أن تخفت ضحكته إلى ابتسام هادئ وهو يقول:
-أنا بردو عندي هواجس غريبة عجيبة كدا.
رفعت "فاطمة" أحد حاجبيها ثم تساءلت بفضول:
-نفس الهواجس الغريبة!
تكلم مُدعيًا الجدية بينما تنبض كلماته بالهزل والمزاح:
-إني هموت وأنا بولد طفل مثلًا!!!
فاطمة بابتسامة عريضة تستفسر:
-هواجس زيّ إيه يعني؟
تنهد "فهد" تنهيدة ممدودة بعُمقٍ قبل أن يقول بلهجة هادئة:
-إني هموت غدر على إيد حد مش متوقع خالص.
زمت "فاطمة" شفتيها ثم أضافت بدهشة:
-لا دا إنت خيالك حصان وجامح، إنتَ كدا عديت ليفيل الوحش في الهواجس.

اِفتر ثغره عن ابتسامة خفيفة ثم أضاف بسرور:

-انهي حوار الهواجس دا وخلينا نستعد لاستقبال فرحتنا، كلها ٨ شهور ويشرف.

فاطمة بابتسامة عريضة تتابع:

-أو تشرف!

فهد برضا كبير:

-كُل عطية ربنا حلوة يا سَند.

-فاطمة، سرحتي في أيه؟!

أيقظها "عبد اللّه" من ذكرياتها على صوت ندائه، انتبهت له فتابعت بذهن شارد:

-بعد إذنك.

انصرفت من أمامه بخطوات سريعة في طريقها إلى غرفتها فيما تنهد هو بيأس قبل أن يتجه إلى ردهة القصر في انتظار النتيجة التي تقض مضجعه ليل نهار لهفةً في معرفة قاتل ابنه والثأر له، فقد مرَّ أسبوعُ بعد إصدار النيابة قرارًا بخضوعهم جميعًا لتحليل، ولم يعد يحتمل أكثر من ذلك.

مرَّت الساعات ثقيلة عليه، ولم تهدأ أنفاسه المضطربة قلقًا حتى سمع صوت سيارات الشرطة تملأ المكان، انتصب واقفًا في لهفة ثم هرول إلى الباب، وقبل أن يطرقه المحقق أسرع "عبد اللّه" بفتحه، كذلك تجمع كُل من بالبيت على صوت جرس الإنذار الخاص بسيارة

الشرطة فكان الجميع متواجدين خلف "عبدالله" في غضون لحظات، نظر "عبدالله" إليه بلهفة وحُرقة ينتظر أن تتحرك شفتي الأخير ببعض الكلمات التي تشفي غليله وتُصهر جليد قلبه اليابس في حسرة فيما بقى ضابط الشرطة واقفًا أمامهم يتأمل كُل فردٍ منهم على حدة وكأنه يثبت لنفسه أمرًا ما يستقر في عقله المرتبك في التباس.

-اتكلم يا سليم باشا، نتيجة التحليل ظهرت؟!!

استدار بعينيه إلى "عبد الله" الذي يذوب من فرط اللوعة والفضول، أومأ في صمت ثم حسم أمره بالإدلاء عن نتائج التحاليل، فتنهد تنهيدة ممدودة بعُمقٍ قبل أن يجيبه:

-ظهرت والمتهم هو .....

*****

"مُحالٌ أن تحترق بذرة ترعرعت داخلنا لطالما كُنا لها ساقِين".

# أرض تيهاء

كعادتي كُل يوم، أجلس إلى مكتبي الذي أُحبه وأجد فيه راحتي وسكينتي وألتقي بأقسى أحزاني، لم يكن ذلك المكتب يخصني وحدي ولم أشتره بمالي الخاص، بل كان ملك الجميع، بينما لم تهتم إحداهن بالجلوس إليه أو تفريغ ما يعمل في نفوسهن من طاقات سلبية على الأوراق القابعة عليه؛ فأضحى دون مجهودٍ مني ليّ، أعيشُ حاليًا بين أربعة جُدران لا تتجاوز المساحة داخلهم الواحد والعشرين مترًا مُربعًا، ثمة فتيات أُخريات يعشن معي، وأُعتبر أنا العاشرة في الترتيب، شعرتُ بالقهر والحسرة يحيطان بي ويؤلماني في كُل آن وما كُنتُ أطيق الحياة هنا حتى ألَّف الله بين قلوبنا وصرتُ أستأنس بهم فضلًا عن وحدتي التي كدتُ أن ألقي حتفي بفضلها، عند قدومي إلى هذا المكان للمرة الأولى كُنت كمن تُرك في أرض تيهاء لا يسعه سوى أن يدور حول نفسه في تيه ويصرخ عاجزًا عن تحديد البداية والنهاية له، وأكثر ما يؤلم الإنسان أن يُساق غدرًا إلى نهايته وكان في قلبه حماسٌ لعمرٍ طويلٍ.

أذكر أول لياليَّ بهذا المكان حينما تم تحويلي إلى هنا، كانت عيناي تشفق على حال قلبي المكلومٍ، فأبكي بعجزٍ مهينٍ وحتى يلتئم الجُرح العميق بداخلي أحتاج إلى عُمرٍ فوق عُمري ولأن هذا درب من الخيال؛ فجُرحي سيظل بليغًا للحد الذي يجعلني أخط نهايتهم بدمي الذي لم

يجف بعد!!.

رفعت القلم عن دفترها وراحت تتنهد بصبر عجيبٍ، ثم تتوجه ببصرها إلى كُل تفصيلة داخل العنبر الذي جمعها مع تسع فتيات لديهن من الأسرار والخبايا ما يجعلك تقف مشدوهًا أمام الأسباب التي جاءت بهن إلى هذه المصحة النفسية التي تسعى إلى تأهيل مرضاها على المستوى النفسي قبل أن يقفن أمام العدالة والقضاء لتطبيق الأحكام المؤجلة عليهن.

شعرت بفتورٍ وهي تتذكر أن اليومَ هو يومٌ الزيارة حيث يأتي أفراد العائلة لزيارة ابنتهم؛ لذا فالعنبر فارغًا هذا الصباح، عادت بكرسيها للوراء ثم نهضت بتمهلٍ وراحت تسير نحو المرآة المجاورة للفراش الخاص بها، تطلعت إلى نفسها بتعب وإنهاكٍ أصاباها في الآونة الأخيرة حتى ذبلت ملامحها وأصاب وجهها الإعياء الواضح، في تلك اللحظة جاهدت أن تُظهر ابتسامة حقيقية على شفتيها رغم عدول الفرح عن طرق أبوابها منذ شهرٍ كاملٍ، قامت بوضع راحتها على بطنها ثم تابعت بصوت خافتٍ:

-صباح الخير يا صبر أيوب على قومه وصبر يونس على ظلمات القدر في بطن الحوت.

بللت شفتيها تلتقط أنفاسها ثم تابعت:

-عندنا ميعاد مع الدكتورة النهاردة ووعدتني إن الشهر الجاي هتسمعني نبضك.

نزلت بعينيها إلى بطنها بعدما كانت تتطلع إليها عبر المرآة ثم أردفت

بصوت مخنوقٍ وملامح عابسة:

-شكرًا إنك وقفت ضد موتي وكنت السبب الوحيد اللي بفضله أنا لسه عايشة، أوعدك إني أتمسك بالحياة طول ما إنتَ فيها.

عبس وجهها وهي تتذكر كيف كان جنينها هو السبب في منحها الحياة، فقد انتشلها من بؤس قلبها حتى لو كان وضعًا مؤقتًا، شرد عقلها حينما صدر قرار من النيابة العامة بتأجيل تنفيذ أية عقوبة عليها بعدما أظهرت نتائج تحليل DNA أمر حملها وبعد أن تعرضت لنوبة عصبية منعتها من الكلام؛ فكانت لا تنطق حرفًا ولا تجيب ولم يكن يسعها سوى البكاء والحسرة مما دفع ضابط الشرطة المسؤول عن القضية إلى تسليم محضره والمتهمة إلى وكيل النيابة العامة الذي باشر التحقيق معها عدة مرات ولم يتمكن من التحقيق معها مُطلقًا؛ فكانت لا تفعل سوى أمرين؛ البكاء الشديد والانطواء على نفسها، وفي ذلك الوقت طلب المحامي الخاص بها أن يتم تحويلها إلى سجن ٨ غرب للتأهيل النفسي قبل النطق بالحكم ولكن قوبل طلبه بالرفض اقتناعًا من وكيل النيابة أنها ربما تدعي الجنون وما شابه، تم حبسها خمسة عشر يومًا على ذمة التحقيق وفيهم ساءت حالتها بصورة مُزرية مما جعل المحامي الخاص بها يتحصل على أوراق تثبت خضوعها للعلاج النفسي في فترة سابقة من حياتها وأنها مريضة نفسية ولا تدعي المرض؛ وبذلك أصدر وكيل النيابة تقريرًا بتحويلها إلى المصحة النفسية كي يتم تأهيلها نفسيًا وتستعيد كامل قواها العقلية قبل تحويل أوراقها إلى المحكمة وإصدار الحكم النهائي

في قضيتها.

-مدام فاطمة، إنتَ إن شاء الله هيتم تحويلك لمصحة نفسية وإن شاء الله هناك تكوني في مأمن أكتر من الحبس خاصة بعد اللي اتعرضتي له في الحجز.

أردف المحامي بتلك الكلمات وهو يجلس معها على انفراد بعد أن صدر قرار بتحويلها إلى المصحة النفسية، كانت تجلس أمامه برأس مُطرق نحو الأرض ودموع تنساب بغزارة من عينيها، تنهد المحامي بحُزن قبل أن يقول بصوت هادئ:

-إنتِ لازم تكوني أقوى.

بدأت شفتاها ترتجفان ثم قالت بصوت خافتٍ يُسمع بالكاد دون أن تنظر إليه:

-أنا مقتلتش جوزي، أنا مظلومة.

المحامي وهو يجيبها بتعاطف واضحٍ:

-أنا مُتأكد من دا وناس تانية غيري يهمها سلامتك وسلامة جنينك!.

استمعت إلى عبارته الأخيرة فأجهشت بالبكاء بصوت مُرتفعٍ وراحت تضع راحتها على بطنها فيما تابع المحامي بثبات:

-زمانك بتسألي مين اللي مهتم بقضيتك وعايز يثبت براءتك بس تأكدي إننا واقفين جنبك لحد براءتك ما تظهر.

سكت لبُرهة ثم أضاف بحزم:

-بس لو اتسألتي فإنتِ كنتِ بتخضعي لجلسات علاج نفسي، اوعي تنسي يا مدام فاطمة!

كانت تستمع إلى حديثه ولا تتفاعل معه مثقال ذرة حتى أنها لم تكن في وعيها الكامل كي تسأله عن كيفية الحصول على أوراق تثبت خضوعها للعلاج النفسي من قبل بينما لم تفعل في حياتها!!!.. لا تعلم أن ثمة أيادي قد تكاتفت من أجل إظهار براءتها المؤكدة.

عادت من شرودها على صوت صرير الباب وهو يُفتح، استدارت فوجدت إحدى الفتيات تدخل في صمت ثم تتجه إلى فراشها، تنهدت "فاطمة" تنهيدة ممدودة بعُمقٍ قبل أن تذهب بنظراتها إلى أحد الأقلام المخصصة للكتابة على الجدران، أسرعت بالتقاطه ثم بدأت تخط بعض العبارات على الحائط القابع أعلى فراشها:

-"الفراق لا يؤلمني بقدر ما تأكل الذكرياتُ روحي".

كُتبت هذه الجملة بخط مُبعثر بالكاد يُفهم ثم اتبعتها بجملة أُخرى:

-"لا تُسقهم وِدًا.. وتكتشف أن الشرابَ هو دماء قلبك".

عِبارة أُخرى تقبع أسفل العبارة الأولى ثم سارت خارج الغرفة ومنها إلى صالة الزيارة، نظرت بعينيها المرهقتين في لا مُبالاة فوجدت المكان شاغرًا ولا يوجد به سوى فتاة مُنكسة الرأس تبكي، سارت "فاطمة" إليها ثم ربتت على كتفها بثبات ومشت بعيدًا عنها دون أن تنبس ببنت شفةٍ ثم هبطت درج البناية حتى أصبحت في منتصف الحديقة المُلحقة بالمشفى، بدأت تتأمل تفتح الورود التي كانت بالأمس ذابلة فشعرت بنسمات باردة تهل على قلبها وكأنما تبعث إليها برسالة خاصة فحواها يدور حول الفرج الذي يأتي بعد فجرٍ أحد الأيام التي طال انتظارها.

-مدام فاطمة؟!!!
نادى عليها صوت من الخلف تعرفه جيدًا، حدقت في الفراغ قليلًا قبل أن تستدير سريعًا كي تواجهه بعينين مُتسعتين، تبادلا سوية النظرات دون أن تتحرك الشفاه فيما راح عقليهما إلى مشاهد لا ينساها كُلًا منهما كانت كفيلةً أن توقظ الحقيقة داخل قلبيهما.
*****

## قبل شهر

حل الليلُ وجلب معه عدة تساؤلات حول النقاش القصير الذي دار بينها وبين المحامي، تساءلت رغم هلاك روحها، كيف جاء بهذه الأوراق ومن يا ترى الذي يهمه إظهار براءتها؟! كانت تجلس بالأرض بعقل مزدحم بالأفكار وعينان غلفهما السُهاد وسرق منهما النوم داخل غرفة الحبس بعد أن تم احتجازها خمسة عشر يومًا على ذمة التحقيق ثم إصدار قرار تحويلها إلى المصحة النفسية، في هذه اللحظة قررت أن تبقى مُستيقظة حتى طلوع الصبح رغم إصابة جميع حواسها بالفتور، تنهدت بضيق وهم ولم تكن في وعيها الكامل للبحث والاستقصاء، أسندت رأسها إلى الحائط إلى أن سمعت صوت أقدام تقترب منها، التفتت تعاين مصدر الصوت فوجدتها إحدى المحبوسات معها داخل غرفة الاحتجاز.
بدأت الفتاة تقترب منها حتى وقفت أمامها مُباشرة، رفعت "فاطمة" بصرها للأعلى تحدق فيها بتوجسٍ وتقول بصوت مرتجفٍ:
-عايزة مني أيه؟

سألتها "فاطمة" بتوجسٍ فيما رمقتها الفتاة بنظرة جامدة قبل أن تستغل نوم الجميع وتقترب منها أكثر ثم تقول بصوت خافتٍ غلفه الانتقام:

-حد بيحبك أوي باعت لك الهدية دي!

قرَّبت الفتاة نصل آلة حادة نحو بطن الأخيرة التي ما أن رأته من بعيد حتى استدارت بسرعة بديهة تعطيها ظهرها فأصاب النصل منتصف ظهرها وفي هذه اللحظة شرعت "فاطمة" تصرخ عاليًا باستغاثة مما جعل الفتاة تهرول مكانها مُجرد أن شعرت بقرب استيقاظ كل من بالغرفة.

كان الضوء يأتي من فتحة صغيرة تقبع فوق الباب، استيقظت الفتيات تباعًا ليجدن "فاطمة" راقدةً على الأرض تبكي بانهيار وتتألم بصوت مُرتجفٍ وطفقت تشهق بأنفاس مُتقطعة؛ فأردفت إحدى الفتيات تقول بفزعٍ:

-يالهوووي دي سايحة في دمها.

بدأت "فاطمة" تشير بطرف أصبعها المُرتجف نحو الفتاة التي ترقد بجوار الباب وتمثل أنها غارقة في نوم عميق، نظرت الفتيات صوب ما تشير فوجدن الفتاة تغط في سبات عميق حتى أنها لم تستيقظ نتيجة صراخ الأخيرة، استدارت الفتاة نحوها مرة أخرى ثم علقت باستغراب:

-سعاد!!.. بس سعاد نايمة؟!

ظلت تجهش بالبكاء حتى خفتت أنفاسها مما أثار الخوف في نفس

الفتيات، فأسرعت إحداهن بالتوجه نحو الباب ثم أخذت تطرقه بقوة طلبًا لإغاثة الفتاة التي توشك روحها أن تنفصل عن جسدها.

-الحقونا، في واحدة بتموت هنا؟!!!!

هرول العسكري المسؤول عن حراسة الزنزانة نحو الباب ثم نظر من الفتحة القابعة أعلاه وقال بصوت غليظٍ:

-في أيه إنتِ وهي؟؟؟

الفتاة بأنفاس لاهثة:

-في واحدة بتموت هنا.

العسكري يصيح بصدمة:

-نهاركم أسود.

أسرع العسكري بفتح الباب ثم هرع إلى "فاطمة" فوجدها غارقةً في دمائها، أسرع بإعلام رئيس المباحث الذي طلب بصوت أجش أن يتم نقلها وإسعافها فورًا داخل مشفى تابعة للقسم للاطمئنان عليها ومعرفة الحقيقة ومباشرة التحريات والبحث فيما تدعي المسجونة خاصةً أن الآلة الحادة وُجدت بالقرب منها فعلًا.

علم وكيل النيابة بما تعرضت له "فاطمة" داخل الحبس فأمر بجلب الفتاة إليه في الحال، فيما جاء "سليم" إليه بسرعة بعد معرفته بالأمر؛ فهما صديقين حميمين ويُقدر وكيل النيابة تعاطف صديقه مع الفتاة التي يقسم أنها بريئة وثمة غموض يحيط هذه القضية، فبالرغم من تسليم زمام القضية إلى صديقه إلا أنه لم يقتنع بإدانتها وفي نفسه شك من الأمر وصوت جهوري قوي يخاطبه بأنها بريئة وقد

لُفقت هذه التهمة لها ومازال مُتأكدًا بأن الحكاية تفوح منها رائحة الإرث.

جلس في مكتب وكيل النيابة مشدود الأعصاب يتبادل مع صديقه طرفَ الحديث وقد شرح له "سليم" ما يغلب هذه القضية من غموض ودنس وأن المسجونة ليست القاتلة بكُل تأكيد ولكنها المُدانة قصدًا في النهاية.

-سليم، أنا مش قادر أفهم موقفك، لمَّا إنتَ واثق من براءتها مكملتش بحث في القضية ليه؟ ومعنى اللي إنت بتعمله دا أيه؟!

أردف وكيل النيابة بصوت هادئ راسخ فيما تابع الأخير بثبات:

-معناه إني مش مُقتنع إن الحكم يتم بناءً على دليل واحد وعقلي مش مصدق إن زوجة تقتل زوجها بدون أي دليل أو سبب مُقنع رغم إن الحياة بينهم كانت فوق المثالية لو مش ببالغ، هتقتله ليه؟

الأخير بتنهيدة ثقيلة:

-بلاش تتعامل بجوانبك العاطفية في قضايا زي دي.

سليم بابتسامة ساخرة:

-مش تعاطف بس شعور بالذنب ناحية البنت، وللأسف مفيش دليل يأكد ظنوني.

وكيل النيابة مُضيفًا بإشفاق:

-عندي نفس الاحساس ناحية البنت، الجريمة مُدبرة لأنها باين عليها بنت ذوات ومش وش قتل ولا إجرام زائد إن ملفها نضيف وشهاداتها ممتازة.

سليم بصوت ثابت:
-أنا مُتأكد إن دي فرصة من ربنا إني أثبت براءة مظلوم وأنقذ طفل هيتولد وهو بيتعاير بماضي أمه اللي قتلت أبوه بالسم، أنا مش هقبل بالنهاية دي طول ما ضميري حي وصوت عقلي بيقول لي كمل.
عزام بتساؤل مهتم:
-وناوي تعمل أيه بعد اللي حصل للبنت.
تنهد "سليم" بحيرة وصمت فيما تنحنح الأخير بخشونة قبل أن يشبك أصابعه سوية ثم يتساءل بترقب واهتمام:
-صحيح يا سليم، إنتَ بلغت خبر حملها لمين من عيلة جوزها!!
رفع "سليم" بصره إلى عيني صديقه وتبادلا النظرات لثواني قبل أن يقول بصوت خافتٍ يغلفه الشك:
-قولت للحاج عبد الله، أبو المرحوم جوزها.
سكت لبُرهة قبل أن يتابع بصوت مصدوم:
-تفتكر هو؟!، إنتَ بتفكر في اللي أنا بفكر فيه!!
الأخير بصوت ثابت:
-لمَّا مش هو، مين اللي هيبعت لها واحدة تقتلها بسكين في بطنها وبعد ما بلغته بالخبر!
في هذه اللحظة، سمعا طرقًا على الباب فرفعا بصرهما وانتظرا دخول العسكري الذي قال بصوت جاد بعد أن سحبها بقوة من ذراعها حتى أدخلها الغرفة:
-أي خدمة تاني يا فندم؟!!

وكيل النيابة بلهجة حازمة:

-لا، روح إنتَ.

كانت "سعاد" تقف أمام وكيل النيابة بأطراف مُرتجفة وتتجنب النظر داخل عينيه، رماها بنظرة جامدة جعلتها تبتلع ريقها بصعوبة بالغة فيما تابع وكيل النيابة بصوت هادئ يشبه ما يأتي قبل العاصفة:

-قولي لي يا سعاد، مين اللي طلب منك تقتلي فاطمة؟؟؟

سعاد وهي تنفي بنبرة مُتلعثمة:

-بس أنا معملتش كدا يا بيه، دي ست كدابة.

تنشق الهواء داخله كاظمًا غيظه ثم قال:

-سُعاد تاخدي شوية بليلة؟!!

باغتتهُ بابتسامة بلهاء ثم تابعت بتساؤل:

-لمؤاخذة يا بيه، مش فاهمة قصدك؟

نبج صوته بحدة وصرامة ثم تابع:

-يمكن أكون في نظرك ببيع بليلة ولا حاجة؛ فقولتي أما أصيع عليه براحتي.

أسرع بالضرب على سطح مكتبه ثم صاح بصوت جهوري حانقٍ:

-انطقي يا زبالة وإلا قسمًا بالله ما أخليكِ تشوفي النور بعينيكِ تاني!!!

انتفض جسدها ذعرًا وراحت تجاهد في ابتلاع ريقها قبل أن تنكر مرة أخرى رغم تصبب العرق على جبينها وحالة ملامحها التي تدينها دون أن تنطق بجريمتها:

-يا بيه إنتَ ليه مش عاوز تصدقني!!

ضغط "سليم" على أسنانه بقوة وقد تخلى عن رباطة جأشه في تلك اللحظة، انتصب بتشنج في مكانه وراح يندفع نحوها بقوة والشرر يقدح من عينيه ثم صاح بصوت أجش متوعد:

-بصماتك على السكينة وعارفين إنك حاولتِ تقتليها دا غير ملفك اللي كله بلاوي، فقصري وهاتي من الآخر يا بت.

انصاعت لأوامره في الحال بعد أن رأت الشرر الذي يقدح بعنف من عينيه، ابتلعت ريقها بالكاد قبل أن تتابع بتلعثمٍ مخافة أن يفتك بها:

- حد حاضر يا بيه، هقول كُل حاجة.

كذلك ورد إلى ذهنه مشهد آخر، حينما علم بتعرضها للاغتيال داخل الحجز المؤقت على يد إحدى المحتجزات والتي كانت تستهدف طعنها في منطقة مُحددة وواضحة، راح عقله بعد هذا الخبر إلى "عبد الله" الذي أخبره "سليم" بأمر حملها وطلب منه ألا يُخبر باقي أفراد العائلة بذلك وقد صرح في إفادته في تحقيق النيابة أنها تخضع لجلسات علاج نفسي لا يعلم أحد عنها شيئًا سوى هو وزوجها وقد طلب منه "سليم" أن يرد على تساؤلاتهم حول تأجيل محاكمتها بتدهور حالتها النفسية وإرسالها إلى مصحة للعلاج وألا يذكر أمر حملها لأحدٍ وحينما تعرضت لمحاولة اغتيال تستهدف الطعن بشكل مباشر في بطنها داهمت الشكوك عقله حول إدانة عبد الله خاصةً أنه الوحيد الذي على علم بالأمر.

-إنتَ طلبت مني أساندك في قضية فاطمة ولأني مؤمن ببراءتها قررت أدور معاك رغم إني قفلت دفاتر القضية وسلمتها للنيابة ولكن

تستخدمني آلة لتنويمي وتبعد شكوكي عنك!!!

صرخ "سليم" عاليًا والشرر يقدح من عينيه، قطب "عبد اللّه" ما بين حاجبيه قبل أن يتساءل بصدمة حول ما يقصد في حديثه:

-إنتَ بتقول أيه يا حضرة الظابط، أنا مش فاهم منك حاجة!!

تدبر "سليم" ابتسامة ساخرة قبل أن يردف بغيظ متأجج:

-فاطمة إتعرضت لمحاولة اغتيال جوا الحبس وكان الهدف منها قتل الأم وقبل منها الجنين، ومحدش يعرف إن فاطمة حامل غيرك يا حاج عبد اللّه، عندك تفسير على كلامي؟!!

حدق "عبد اللّه" فيه بعينين مُتسعتين ثم صاح مصدومًا:

-محاولة اغتيال!.. وهي عاملة أيه والجنين؟!!

بدأ "سليم" يدقق في تعابير وجهه مُحاولًا قراءتها جيدًا وعقله واقعًا في منطقة عميقة من التيه والالتباس، ظل صامتًا لا يرد على تساؤلات الأخير التي يغلفها الوجل واللهفة؛ فصرخ "عبد اللّه" فيه بصوت مترجٍ:

-فاطمة حصل لها أيه؟!!

سليم بتنهيدة حارة يرد:

-فاطمة كويسه، بس مردتش على سؤالي، حد غيرك يعرف إنها حامل؟!!

حاول "عبد اللّه" استجماع نفسه وبدأ يفكر في إجابة هذا السؤال حتى انبسطت عقدة حاجبيه دهشةً وراح يهز رأسه غير مُصدقٍ مما جعل "سليم" يسأله بلهفة وفضول:

-حد عارف غيرك يا حاج عبد اللّه!!!

في تلك اللحظة، أومأ برأسه إيجابًا قبل أن يتمتم بصوت خفيضٍ يغلفه الصدمة:

-مستحيل.. مستحيل!

عادا من ذكرياتهما بعد أن حصل ما سعى إليه "سليم" الذي أقسم على استكمال تحرياته إلى أن يجد جديد في هذه القضية ويأتي بالدليل القاطع فقد تكاتف مع المحامي على تزوير أوراق حول اضطراب حالتها النفسية للحصول على موافقة وكيل النيابة كي يتم تحويلها إلى المصحة النفسية التابعة للسجن بعد خضوعها أمام لجنة من الأطباء النفسيين واثبات محاميها بأنها تخضع لجلسات علاج نفسي من قبل، اِفتر ثغره عن ابتسامة خفيفة فبادلته الابتسامة نفسها وهي تقترب منه ثم تقوى بصوت هادئ:

-سليم بيه!

زوت ما بين عينيها قبل أن تتابع بترقب:

-حضرتك اللي بعت لي المحامي وجبتني هنا؟!!

أومأ "سليم" برأسه إيجابًا قبل أن يجيبها مفسرًا:

-أنا اللي سعيت لدخولك المصحة علشان تكوني في أمان، أما اللي وكل لك محامي وبيحاول يثبت براءتك فهو الحاج عبد اللّه.

انبسطت عقدة حاجبيها ثم أضافت بدهشة:

-الحاج عبد اللّه!!!

*****

**حينما تتقطع آخر خيوط الأمل في شيءٍ أردته بشدة، وتُظلم الحياة عليكَ، وثمة جدارٌ سحيقٌ يحُول بينكما ؛ إن لم تستطع هدمه بالكامل فيمكنك إحداث كوة به ؛ يتسلل النور منها مرة أخرى إلى قلبك ؛ فتنادي ويسمعون.**

## كضوءٍ كوة

-اتكلم يا سليم باشا، نتيجة التحليل ظهرت؟!!

استدار بعينيه إلى "عبد الله" الذي يذوب من فرط اللوعة والفضول، أومأ في صمت ثم حسم أمره بالإدلاء عن نتائج التحاليل فتنهد تنهيدة ممدودة بعُمقٍ قبل أن يجيبه:

-ظهرت والمتهم هو مدام فاطمة.. اقبضوا عليها.

شُخصت الأبصار إليها في جحوظٍ بينما تسمرت هي في مكانها كمن صُلب في جذع نخلة فلا حول له ولا قوة، حاولت أن تتجاوز الصدمة فقالت بصوت مبحوحٍ يغلفه الصدمة:

-فاطمة مين؟! أنا!!

أومأ "سليم" إيجابًا فيما تحرك "رياض" إليها وبدأ يصرخ فيها بصوتٍ جهوري صارم:

-إنتِ هتمثلي زيّ ما ضحكتي علينا كلنا وفهمتينا إنك ملاك مبيغلطش!

أنور وهو يحدق فيها مصدومًا ثم يتابع بصوت خافتٍ:

-إنتِ يا فاطمة؟! ليه؟! عملتي في أخويا كدا ليه؟؟؟؟؟

قدح الشرر من عينيه فهرول إليها وبدأ يهزها بقوة فيما صرخت هي بصوت عالٍ يغلفه الصدمة والهلع:

-أنا معملتش حاجة، أنا مقتلتش فهد، مقتلتش جوزي، إنتوا مجانين وعايزين تجننوني!

استدارت بعينيها إلى ضابط الشرطة ثم تابعت بصوت يتقطع من شدة البكاء:

-حرام عليك، أنا مقتلتش جوزي والله العظيم مقتلتوش!

رمقتها "رَغد" بعينين مُتسعتين ثم أردفت بصدمة:

-فاطمة مين اللي قتلت!!.. فاطمة مستحيل تعمل كدا.. أكيد في حاجة غلط!

كان "عبد الله" يقف متصلبًا في مكانه، ولم يبد أي رد فعل على ما جاء به ضابط الشرطة، دعك جبينه شاعرًا بالدوار فيما هرولت "فاطمة" إليه وراحت تصرخ بجنون رهيبٍ وهي تتشبث بذراعه:

-أوعى تصدقهم يا عمي، والله العظيم كذابين!

قام بدفع ذراعها بعيدًا عنه، ثم أردف بصوت جهوري حانقٍ محتقر لها:

-ابعدي عني.

أجهشت بالبكاء وهي تستجديه أن يُصدقها ولكنه رماها بنظرة عدوانية جامدة جعلتها تتراجع للخلف وتبدأ في الصراخ بقوة وانهيار وهي تصك وِجنتيها وتضرب بقبضتيها على رأسها إلى أن سقطت مُغشية عليها.

بعد ذلك تم إلقاء القبض عليها وتحويلها إلى النيابة العامة من قبل ضابط الشرطة، فيما باشر وكيل النيابة التحقيق معها بالدليل والمحضر الذي جاء به ضابط الشرطة الذي رغم انتهاء دوره هنا؛ إلا أنه لم يكن يقتنع بدليل واحد رغم قوته ولكنه لم يكتفِ به، فباشر

البحث عن أدلة أخرى تغير مجرى الأحداث ومازال يبحث.
-إزيك يا فاطمة؟!!
عادت من شرودها على صوت نبرته التي تمتزج بين الحدة واللين، انتقلت بنظراتها إليه فوجدته يباشر بضم كفيها قائلًا بصوت خافت:
-أوعى تكوني فاكرة إني اتخليت عنك يا بنتي، أنا مُتأكد إنك بريئة وقريب هتخرجي من هنا لبيتك وحياتك وكُل واحد هياخد جزاءه بس اصبري!
اِغرورقت عيناها بالدموع فتكلمت بصوت مبحوح:
-بس أنا اترجيتك تصدقني، كُنت مستنية إنك متفرطش في أمانة ابنك!
عبد اللّه وهو يبتلع غِصَّة مريرة في حلقه ثم يقول:
-ورحمة ابني ما فرطت، إنتِ هتخرجي من هنا وحفيدي هيتربى في عِز أبوه، متيأسيش علشان خاطر ابنك، الحقيقة خلاص قربت.
انسابت الدموع على عينيها وراحت تجهش باكيةً في تأثر من كلماته وهي التي ظنته قد نساها وصدق ما قيل فيها ولكنها مُخطئة أن تظن السوء في شخص أحبها دائمًا وتعامل معها بقلب أبٍ وكانت مشاعره الطيبة معها وتمييزه لها يُزعج كل من حولهما؛ ولكنه لم يبالي يومًا ولم يكف عن منحها وسام التميز وقد زاد الأمر بعد معرفته بخبر حملها الأول.
في تلك اللحظة، تكلمت بصوت باكٍ يتقطع له نياط القلوب:
-أوعى تتخلى عني يا عمي، محدش بيهد الحيطة اللي بتكون حامياه،

إزاي هقتل جوزي!
ربت بحنان على راحتيها ثم تابع بحسم:
-متقلقيش قربنا للنهاية أوي، أنا خلاص عرفت القاتل من زمان.
حدقت فيه بعينين تلمعان بأمل ثم سألته بلهفة:
-عرفت اللي قتل فهد؟ طيب هو مين؟ وساكت ليه لحد دلوقتي؟؟؟
عبد اللّٰه بثبات:
-مستني دليل.. دليل واحد بس وساعتها مش هتكوني هنا لدقيقة حتى.

*****

انتهت زيارتهما لها، اطمأن "عبد اللّٰه" على حالها وسكنت أحزانه قليلًا فهو يستمد من سلامتها وسلامة جنينها كل سعادته، قلبه يعتصره الألم كلما تذكر أن الجاني طليقًا وهذه البريئة هي التي تدفع الثمن وحدها، أشفق على حالها بعد أن توالت عليها النكبات تباعًا وهي أنقى من أن يُقهر شبابها داخل السجون والمصحات النفسية ولكنها أثبتت للجميع أن القوة لا تختص بالرجال فقط؛ فقد اتخذت من أوجاعها سُلمًا ونهضت من جديد.
توجهت إلى غرفة الطبيبة المسؤولة عن متابعة حملها لمعرفة مدى استقرار جنينها الذي يتأثر بضعفها وقلة غذائها، نامت على كنبة مُسطحة خلف ستار طويل يقبع بجوار الكنبة الجهاز المسؤول عن رؤية وضع الجنين داخل رحمها حيث يظهر ذلك في شاشة الجهاز.
قامت مساعدة الطبيبة بوضع الجهاز بين ساقيها بعدما باعدت

بينهما، فيما بدأت "فاطمة" تسترق النظر إلى الشاشة في شغف تحاول تجميع صورة ولو كانت غير واضحة عنه، فالجنين في طور تكوينه وقريبًا ستستمع إلى نبضه فيسري في روحها كي يُحييها وكيف أن حبيب عمرها لم يقبل أن يتركها وحيدةً كُسر ظهرها وتعاني خيبات الأمل والخذلان والظلم، أراد أن يترك لها قطعة منه تُثبت أقدامها وتبعث فيها القوة للاستمرار.

تنهدت باسترخاء وهي تحدق إلى الشاشة وتتذكر ذلك المشهد وهي مُستلقية على فراش يشبه هذا تقريبًا وكأن المشهد يكرر نفسه من جديد؛ ولكن ثمة شيء واحد قد اختلف ونقص في المشهدين وهو زوجها الذي وقف بجوارها تلك الليلة وأمسك راحتها يتطلعان سوية إلى الشاشة والسعادة تغمر قلبيهما، تتذكر حينما بدأت الطبيبة في فحص حالة الجنين وأخبرتهما باستقرار نبضه وحالة حجمه الطبيعية وكم الشوق والسرور التي قرأتهما في لمعة عينيه.

تاقت نفسه لرؤيته ولم تكف عن الاشتياق له لحظة حتى في نومها كان يأتيها كي يواسيها طالبًا منها أن تتحلى بالجلد والثبات، عادت من تلك الذكرى وقد تغيرت ملامح وجهها إلى حُزن دفينٍ، وفي تلك اللحظة دخلت الطبيبة إليها ثم باغتتها بابتسامة هادئة وقالت باهتمام:

-عاملة أيه يا فاطمة؟!!

بادلتها "فاطمة" اِبتسامة مثيلة ثم ردت:

-كويسة يا دكتورة، طمنيني على الجنين؟!!

أومأت الطبيبة مقدرةً لمشاعرها المشغولة عليه، بدأت في تحريك الجهاز وهي تمعن النظر في الشاشة إلى أن ابتسمت وقالت بهدوء:

-كل حاجة زيّ الفل ما شاء الله والوضع مُستقر وزيّ ما وعدتك الشهر الجاي هسمعك نبض الجنين.

سكتت لبرهة ثم أضافت بثبات:

-دا لو فضلتي معانا للشهر الجاي يعني.

زوت "فاطمة" ما بين عينيها ثم سألتها بتوجسٍ:

-هم اتكلموا عن خروجي!!

الطبيبة مومئةً بالإيجاب:

-أه مأمور السجن النهاردة استلم تقرير من الطبيب النفسي بحالتك وإن خلاص مفيش داعي لوجودك في المصحة.

تغيرت ملامحها إلى حزن شديد ثم تساءلت بصوت مخنوقٍ:

-مقالوش هتحول إمتى بالظبط؟؟

أومأت الطبية سلبًا ثم قالت بإيجاز:

-لأ، بس معتقدش كتير يعني.

*****

## داخل قصر الزيني

التف الاثنان حول مائدة الطعام وبَدَءَا في تناول الفطور في صمت مُريبٍ، حتى دخل "رياض" من باب القصر وراح يتجه إليهما مُضيفًا بلهجة حانقة:

-أنا عايز أعرف قتالة القتلى دي متحكمش عليها ليه لحد دلوقتي؟!
لم يرفع "أنور" عينيه نحو الأخير، فيما رفعت "رَغد" كتفيها ثم أنزلتهما وهي تردف بلهجة قانطة:
-وأنا مبقيتش فاهمة حاجة.
تنحنح "أنور" بخشونة قبل أن يضيف بصوت هادئ:
-قال كمان خدت تأجيل، واتحولت على ٨ غرب علشان مريضة نفسيًا.
ظهرت ابتسامة ساخرة على جانب شفتي "رَغد" التي تابعت بغيظ:
-دي مش بس قاتلة دي ممثلة كمان وأنا اللي كُنت فكراها ملاك بريء لأ والحاج مفضلها علينا من يوم ما دخلت القصر وأدي النتيجة، قتلت جوزها وعضت الايد اللي إتمدت لها.
أنور يتمتم بصوت خفيضٍ:
-خاينة وملعونة.
تنهد "رياض" بصلابة قبل أن يتابع بحيرة:
-تفتكروا أيه اللي دفع فاطمة تقتل فهد؟!!
تابعت "رَغد" بلهجة حادة:
-أكيد علشان يخلى لها الجو مع عشيقها اللي حملت منه.
رفع "أنور" بصره إليها وراح يرميها بنظرة جامدة ومنفعلة، ابتلعت ريقها على مضض وقد أدركت ما فعلته من كارثة فراحت تتناول لقيمة إلى فمها بعد أن أشاحت بوجهها للجهة الأخرى، لم يتجاوز "رياض" عن كلماتها فراح يستفسر بتساؤل مُهتم:
-هي فاطمة حامل؟!

رفع "أنور" أحد حاجبيه ثم أردف بصوت أجش صارم:

-تقصد حملها اللي فات ودي طبعًا اجتهادات من رَغد ًلأنها متضايقة منها زيّ ما كُلنا مش قادرين نسامحها على اللي عملته.

أومأ "رياض" برأسه مُتفهمًا ثم بدأ يتلفت حوله قبل أن يسأل بتذكر:

-أمال فين عمي عبد اللّه؟!

-أنا موجود يا رياض.

أجابه وهو يدخل من باب القصر متوجهًا إلى المائدة، ألقى عليهم السلام ثم جلس على كرسيه الذي يرأس المائدة فيما تساءل "أنور" باهتمام:

-كُنت فين يا حج؟!.

عبد اللّه بإيجاز:

-في زيارة لبيت ربنا عقبال ما ربنا ينعم عليك بالزيارة دي يا بني ورجليك تاخد على طريق ربنا.

تابع "أنور" يمتحن والده حول متابعة قضية قاتلة أخيه:

-في جديد في القضية؟!.. معندكش أخبار عن ميعاد النطق بالحكم!.

تنهد "عبد اللّه" تنهيدًا ممدودًا بعُمقٍ قبل أن يقول:

-متقلقش، لازم هيبلغونا قبلها.

*****

جلس "سليم" إلى مكتبه بقسم الشرطة يشتعل من شدة الغيظ فتارة يطرق بأصابعه على سطح المكتب وأخرى يلتقط سيجارة ويقوم بإشعالها ثم يبدأ في حرق تبغها بشراهة، تناول سيجارة تلو الأخرى

إلى أن صار العدد داخل المنفضة لا يعد ولا يُحصى، تنهد تنهيدًا ممدودًا بعُمقٍ وما هي إلا لحظات حتى طرق العسكري على الباب وقام بالدخول بعد ذلك.

وقف العسكري وقفة التمام واضعًا كفه مفرود بجوار دماغه وراح يقول بصوت حازم:

-سعاد فتوح موجودة برا يا فندم!.

سليم وهو يضغط على أسنانه ثم يضيف بغيظ:

-دخلها.

ضرب العسكري قدمه بالأرض قبل أن ينسحب من الغرفة مُنصاعًا لأوامر سيده وما هي إلا ثواني حتى كانت الفتاة داخل المكتب، نظرت إلى وكيل النيابة بارتباكٍ وريبة فيما بدأ هو يرميها بنظرات قوية يغلفها الصرامة وقال:

-إلا قولي لي يا سعاد.. الواد ناوي ييجي إمتى ولا طريق الموزمبيق زحمة؟!

فتحت "سعاد" فمها ثم ردت ببلاهة:

-ها؟!.

في تلك اللحظة، نبج صوته عاليًا مُضيفة بصرامة:

-الواد دا مجاش ليه زيّ ما اتفقتي معاه؟!

انتفض جسدها ذعرًا وراحت تقول بنبرة مُتلعثمة:

-والله يا بيه ما أعرف، ما أنا كلمته قدامك وقولت له زيّ ما حضرتك طلبت مني بالظبط إن البت سقطت وكانت هتموت.

رفع "سليم"" أحد حاجبيه ثم قرر أن يتحكم في انفعالاته حتمًا فقال بصوت هادئ:

-طيب تمام، إنتِ هتكلميه تاني من التليفون دا وتقولي له إنك محتاجة فلوس ضروري ولازم تشوفيه في الزيارة الجاية!.

أومأت برأسها مُنصاعةً فقام بإعطائها الهاتف وراحت هي تكتب الأرقام غيبًا ثم انتظرت حتى يرد.

-أيوة ياض يا عطوة، معاك سُعاد.

صاحت فيه بصوت عالٍ فأشار لها سليم أن تخفض من نبرة صوتها، فيما تابع الأخير بغيظ:

-عايزة أيه يا بومة إنتِ!!

سُعاد وهي تتصنع الغضب فترد:

-فين اللي اتفقنا عليه، مش نفذت لك اللي إنتَ عايزه؟!

عطوة مُدعيًا الجهل بما تريد:

-وأية بقى اللي اتفقنا عليه؟!.

سعاد تصرخ فيه بحدة:

-الفلوس يا عطوة ولا ناوي تاكلها عليا، اسمع أنا مأجرة التليفون دا من واحدة زميلتي وعايزة فلوس ضروري لأنك عارف إن كل حاجة جوا الحجز بتمشي بالفلوس وبعدين الست اللي دبرت لي المطوة عايزة حقها ولو مجيتش بكرا في الزيارة معاك الفلوس، قسمًا عظمًا لأبلغ عنك وأقول لهم إنك اللي طلبت مني أقتلها.

عطوة بزمجرة وغضب:

-ما خلاص يا حلوة، بكرا فلوسك هتكون عندك وبلاش شغل التهديد دا علشان مبياكلش معايا.

سعاد وهي تضيف ببرود:

-ياكل ولا لأ.. أنا ليا قرشين عايزاهم.. مستنياك بكرا.

أسرعت بإنهاء المكالمة وقامت بوضع الهاتف على المكتب ثم تدبرت ابتسامة متوترة وهي تقول بقلق:

-أنا كدا يا باشا عملت اللي عليا.

سليم وهو يهدر فيها بصوت غليظ:

-قسمًا بالله لو ما جه بكرا لأعلقك، صول رأفت!!!

انفتح الباب في الحال وظهر العسكري مُستجيبًا لندائه فيما قال "عزام" بلهجة حازمة:

-خدها على الحجز.

*****

-أنا طالع أريح شوية.

أردف "عبد الله" بصوت خافتٍ وهو يتجه إلى الدرج فيما رمقتهُ "رَغد" بنظرة قوية وانتظرت حتى غادر ثم تابعت وهي تلتفت إلى زوجها:

-أنا حاسة إن أبوك فيه حاجة مش مظبوطة!

رد على حديثها مُضيفًا ببرود:

-واحساسك دا جه منين؟!

مطت "رَغد" شفتيها ثم قالت بتنهيدة طويلة:

-معرفش بس مش مرتاحة.. يعني حاسة إن أبوك زعلان على فاطمة؟!
ترك الهاتف سريعًا من بين يديه بعدما كان مشغولًا فيه ثم حدق فيها قائلًا بلهجة حادة:
-إنتِ مجنونة ولا عبيطة، في أب هيتعاطف مع واحدة قتلت ابنه؟!
زوت ما بين عينيها ثم تابعت بصوت هادئ:
-مالك اتعصبت كدا ليه؟! وبعدين أنا بقول حاسة.
أنور بنبرة صارمة:
-متحسيش تاني يا رَغد.
تراخت ملامحها وراحت تقترب أكثر منه أثناء جلوسهما سوية على الأريكة حتى التصقت به ثم بدأت تتدلل عليه وهي تقول بغنجٍ:
-طيب أنا زهقانة وعايزة أخرج؟!!
استدار بعينيه إلى شاشة هاتفه ثم قال بلهجة حازمة:
-إنتِ عارفة كويس إن النهاردة يوم الفري بتاعي وبكون مع صحابي.
زفرت "رَغد" زفرة طويلة قبل أن تتابع بقنوط:
-طيب وأنا؟! مراتك؟! مفيش يوم تخصصه علشاني؟! أنا حاسة إننا كُل مادا بنبعد مش بنقرب.
أنور بابتسامة مُتهكمة:
-حاسة مش مُتأكدة؟
في تلك اللحظة، انتصب واقفًا في مكانه ثم التقط مفاتيح سيارته وعلبة السجائر الخاصة به وانصرف من أمامها، كشر وجهها وراحت تصر على أسنانها بغيظٍ جامحٍ، لا تجد مُبررًا لمَا يفعله معها؟ فهي التي

صابرت معه حتى هذا الوقت رغم عدم قدرته على الإنجاب وقررت أن تستغني عن الذرية من أجل العيش معه، فهل يجازيها إهمالاً وقلة قيمة على صبرها معه!

أسرعت بخطوات ثائرة نحو الدرج إلى أن صعدت إلى غرفتها ثم ألقت بنفسها على الفراش وراحت تبكي بقهرٍ شديدٍ من جانب إهمال الزوج ومن جانب آخر حرمانها من طفل يلهيها عن كُل شيءٍ يخنق أنفاسها.

في تلك اللحظة، توقفت عن البكاء وهي تجد النغمة الخاصة بوصول الرسائل تصدح عبر سماعة هاتفها، قامت بمحو عَبراتها بعُقلة أصبعها ثم التقطت الهاتف وراحت تتصفح ما وردٍ إليها من رسائل، فغرت فمها وراحت تحدق في الهاتف بعينين جاحظتين ثم تمتمت بصوت مخنوقٍ:

-مستحيل!

لم تفكر كثيرًا فيما قرأته حيث أسرعت بالاتصال على الرقم الذي جاءها الرسالة منه ولكنها وجدته مُغلقًا كما توقعت، أنزلت الهاتف عن مرأى عينيها قليلًا وبدأت تخاطب نفسها في حالة دهشة حتى أنها حاولت ألا تصدق ما قرأته وأن ربما يكون مُزحة سخيفة من شخصٍ يعرفهما جيدًا؛ ولكنها لم تستطع التماسك أكثر من ذلك وقررت الذهاب إلى العنوان المدون في الرسالة والتأكد بنفسها حول فحوى الرسالة التي تفي بأن زوجها قد تزوج امرأة أخرى منذ ثلاثة أسابيع

ويمكنها أن تتأكد من خلال هذا العنوان.
هبت واقفةً في مكانها ثم التقطت حقيبة يدها وانطلقت خارج الغرفة فورًا للتحقق من الأمر بنفسها خاصةً أن زوجها يتجنب منذ مدة التعامل معها ولا الاقتراب ودائم الانشغال بالهاتف أو البقاء فترة طويلة في عمله فلا تراه إلا قليلًا!.

*****

جلس "عبد الله" على فراشه بعد أن أخرج صندوقه العتيق من داخل خزانته ثم حمله ووضعه أمامه، بدأ بفتحه بقلب ملتاعٍ لا يقوى على رؤية صورة تجمعه بابنه الفقيد وفي نفس الوقت قد اشتاق للنظر إلى عينيه التي تضويان بنورٍ مُبهرٍ كلما قبل كف والده وسمع منه دعوة تتهلل لها أسارير وجهه شاعرًا بالسرور والاكتفاء.
قام بفتح الصندوق ثم التقط حفنة من الصور وبدأ يقلب فيهم تباعًا حتى سقطت عينيه على صورة لابنه لحظة تخرجه وهو يرتدي لباس التخرج ويضع الطاقية على رأسه في شموخ، يتذكر "عبد الله" أنه شعر وقتها بالفخر حينما تخرج ابنه من كُلّية الهندسة بتقدير جيد جدًا مع مرتبة الشرف حتى أنه لم يجحد فضل أبيه عليه وأصر على اصطحابه إلى حفل التخرج وهناك عرفه على زميلته بالكلية وكانت هذه المرة الأولى التي يرى فيها فاطمة إلى جوار ابنه، وقتها عرفها أمام والده على أنها حبيبته وأعرب عن رغبته في الذهاب لخطبتها من جدها نظرًا لأن والديها قد توفيا إثر حادثة سير ولم يُنجبا سواها

وقد أكرم جدها مثواها وكابد المتاعب وشقى على تعليمها حتى أصبحت المهندسة فاطمة الزهراء وكانت من عائلة متوسطة الحال، تدبر ابتسامة فاترة لا يسعها أن تخرج من بين أوضاعه سوى على هذه الشاكلة، تذكر فرحة ابنه بالخطبة ثم الزواج وكيف أحبهما وأحب فاطمة كثيرًا لأنها أكثر حُبًا لابنه والأمير حرصًا على صون اسمه وبيته؛ فكانت مُطيعة لا يخرج من فمها العيب ولا تتكلم عن أسرار زوجها مُطلقًا على عكس "رَغد" التي لا تكف عن شكوى زوجها وإحداث المشاكل بالقصر وتلفيقها لفاطمة التي كانت تقابل تصرفاتها المُخزية بالعطف والشفقة لأنها لم تستطع أن تُصبح أمرًا حتى الآن وكيف أن على جميع من بالقصر مراعاة مشاعرها واحتوائها.

ركز النظر على صورة ابنه ثم أسرع برفعها نحو فمه وراح يُقبله بلوعة واشتياق حتى أنه لم يتمالك نفسه وترك العنان لدموعه كي تنفجر على خديه بغزارة تشي بما تستقر في نفسه من حسرة وانكسار يخجل أن يُعبر عنهما أمام الناس؛ فدومًا ما يرى أن عزة النفس أن تصمد بقوة أمام أوجاعك التي يعرف الناس بها أما الخفية منها فيمكنك أن تعزيها باكيًا أو منهارًا لطالما تعيش انكساراتك بعزة أمام نفسك.

انسابت قطرات الدمع على هديه فقال بصوت مبحوحٍ يغلفه الألم:

-يعز عليَّ أشوف مراتك وابنك في السجن بعد ما سبتهم لي أمانة، سامحني يا غالي، ياريتني ما عيشت ولا شوفت اليوم اللي تختفي من حياتي فيه، ربنا يرحمك يا حبيبي، رحمة الله عليك يا فهد.

*****

-تعالي يا فاطمة لمَّا نسأل على الكور البني اللي نفسك فيها دي!
أردف الجد بتلك الكلمات وهو يقبض على راحة الفتاة بقوة، كانت فاطمة وقتها بعُمرٍ العاشرة وقد أخبرتهُ أنها كانت تجلس مع إحدى الفتيات التي تسكن بالعقار الذي يحرسه جدها وكانت تتناول شيئًا يشبه الكرة باللون البني فكانت تدق عليه بكفها حتي ينفلق إلى نصفين ثم تتناول ما بداخله، جرى ريقها في هذه اللحظة وطلبت منها أن تعطيه واحدة ولكن الفتاة أبت أن تفعل مما جعل "فاطمة" تخاطب جدها ذات مساءٍ بحاجتها المُلحة إلى تذوق هذا الشيء ولو مرة واحدة، لم يستطع جدها أن يتغاضى عن شيء تتمناه الصغيرة فقرر أن يبحثان سوية عن اسم هذا الشيء وأن يأتي لها منه بالقليل أو الكثير حسب ثمنه.
سار بها إلى أحد المحلات الخاصة ببيع السلع الغذائية ثم أردف يخاطب الشاب الواقف للبيع:
-بعد إذنك يا بني، بنت ابني شافت واحدة بتاكل حاجة شبه الكورة كدا ولونها بني وبتدق عليها علشان تتكسر وجواها حاجة بتتاكل، مالقيهاش عندك؟!!
عقد البائع حاجبيه محاولًا الوصول إلى صورة خيالية حول هذا الوصف وما هي إلا ثواني حتى أردف بنبرة منشرحة:
-تقصد بندق؟!!
الجد بجهلٍ:
-والله يا بني ما أنا عارف.

أومأ البائع ثم قال بثبات:

-طيب استنى.

توجه البائع إلى الداخل ثم عاد مرة أخرى وفي يده بضع حبات من البندق ثم مد يده نحو "فاطمة" وراح يبسط راحتيه قائلًا بابتسامة عذبة:

-هو دا يا حلوة؟!!.

فغرت فمها بطفولة فذة قبل أن تنظر إلى كفه بعينين مُتسعتين ثم تصيح بفرحة عارمة:

-أيوة.. أيوة دا يا عمو.

ابتسم البائع بودٍ قبل أن يلتقط قبضتها ثم يضع حبات البندق فيها ويقول بنبرة حانية:

-بالهنا والشفا يا ست البنات.

أقفلت راحتها عليهم وكأنما ملكت الدنيا بأسرها وهي تتحصل على شيءٍ لم تذقه من قبل وقد وهبها اللّٰه إياه.

أردف الجد بنبرة مُمتنة:

-شكرًا يا ابني، كدا الحساب كام؟!

البائع بابتسامة هادئة:

-مفيش حساب خالص، دي هدية بسيطة مني للبنوتة لأنك يعتبر ما أخدتش حاجة.

أومأ الجد برأسه سلبًا ثم قال بإصرار:

-خلاص يبقى حاجتك ترجع لك تاني.

البائع برجاء:

-والله يا بويا ما مستاهلة، دي حاجة بسيطة خالص.

الجد بنبرة ثابتة:

-معلش يا بني ريحني!

تنهد البائع باستسلام ثم قال بصوت هادئ:

- ٥ جنيه يا حاج.

الجد يسأله بتوجسٍ:

-خمسة بجد ولا بتقول كدا وخلاص!

البائع بابتسامة هادئة:

-بجد.

أسرع الجد باستخراج ورقة من فئة الخمسة جنيهات ثم أعطاها للبائع وغادر المحل، نزل ببصره إلى "فاطمة" وسألها بنبرة منشرحة:

-مبسوطة يا قلب جدو!

فاطمة بسرور:

-أوي.. لمَّا نروح البيت ناكل مع بعض.. بس ليه يا جدو مأخدتش الكور من الراجل من غير فلوس

أومأ برأسه يجاريها ثم قال بنبرة هادئة:

-علشان عِزة النفس أغلى من مليون هدية بتتهادى بعين العطف والشفقة، هعلمك درس للزمن يا بنتي، عزة النفس والأخلاق والأمان رصيدك في الحياة دي علشان تعيشي راضية وفي حاجة لو جاهدتي نفسك واتمسكتي بيها هتكوني أحسن واحدة عند ربنا.. مش إنتِ

عايزة تكوني أحسن واحدة عند ربنا؟!.

فاطمة بحماس شديد:

-أيوة.

الجد بنبرة حانية:

-غنى النفس يا بنتي، بيخلي كل حاجة في عينيك صغيرة حتى لو كانت أعظم قصور الدنيا، غنى النفس هدفه قصور الآخرة.. ودايمًا إتأكدي إن ربنا هينجيكِ من أي مغريات، دا ربنا هيقف جنبك في كُل حاجة فاكرة إن ملهاش حل وبقدرته تصحي الصبح تلاقيها انحلت.

نزل بعينيه إليها ثم قال بابتسامة عذبة:

-فاهمة حاجة؟!

أجابتهُ بحنكة وذكاء لغوي:

-فاهمة بس مش أوي.

-فاطمة؟!!!

صاحت مشرفة الطابق فيها بصوت عالٍ بعد أن كررت ندائها عليها عدة مرات بينما كانت هي غارقة في ذكرياتها مع جدها الحبيب، نظرت إليها فاطمة ثم قالت بصوت خافتٍ:

-أيوة!!

المشرفة بنبرة عالية:

-سرحتي لحد فين؟!

فاطمة بابتسامة بسيطة:

-لحد ما جدي قال لي إن طول ما أنا عندي غنى نفس وشايفة ربنا في كل خطوة بعملها إن ربنا بقدرته هيلاقي لي الحل حتى لو فقدت الأمل.

زوت المشرفة ما بين عينيها ثم تابعت بثبات:

-أنا مش فاهمة حاجة بس ونعم بالله، قومي مأمور السجن عايزك.

اعتدلت في جلستها ثم هتفت بوجلٍ:

-عايزني في أيه؟!

المُشرفة وهي تقبض على ذراعها ثم تقول بحسم:

-لا دي حاجة مقدرش أفيدك فيها.

نهضت من الفراش ثم سارت خلفها فقالت باعتراض:

-ماسكاني كدا ليه هو أنا ههرب!!

المشرفة بابتسامة متهكمة:

-أه صح نسيت إنك العاقلة اللي هنا، أحسن كل اللي هنا اللهم احفظنا.

فاطمة بلمحة حزن:

-ربنا يعينهم ويسامح اللي وصلهم للطريق والنهاية دي.

سارت معها إلى حجرة مأمور السجن، طرقت المشرفة على الباب فسمح لها بالدخول، أمرتها أن تدخل أولًا ثم تبعتها للداخل، قابلها مأمور السجن كعادة وجهه العابس وما أن وقفت أمامه حتى قال بصوت حاد:

-جهزي نفسك على نهاية الأسبوع دا هيتم تحويلك على النيابة والنيابة هتحول أوراقك للمحكمة علشان يتم النطق بالحكم في قضيتك.

أغمضت "فاطمة" عينيها وراحت تبتلع ريقها بصعوبة بالغة قبل أن تومىء قائلة في جلدٍ وثباتٍ:

-تمام.

المأمور بصوت هادئ راسخٍ:

-ربنا معاكِ يا بنتي.

باغتته بابتسامة مُمتنة قبل أن تقول بأمل:

-أنا بريئة ومُتأكدة إن ربنا مش هيتخلى عن عبده المظلوم، أنا ربنا معايا فعلًا.

تنهد المأمور بتأثر فيما انصرفت "فاطمة" من أمامه بعد أن أشار للمشرفة باصطحابها مرة أخرى إلى العنبر الذي تمكث به.

*****

-يا بني أنا ما صدقت إن دوامي خلص وهرجع البيت أرتاح شوية.

أردف "عزام" بتلك الكلمات وهو يجلس بجوار "سليم" داخل سيارته، انطلق الأخير بالسيارة فورًا دون أن يقبل اعتراض الثاني ثم تكلم بصوت هادئ:

-إحنا برا الشغل يعني لا إنتَ وكيل نيابة ولا أنا ظابط شركة، إحنا اتنين أصحاب خارجين يقعدوا شوية في مكان هادي مع بعض.

عزام يمزح قائلًا:

-أيه هتعزمني على قهوة في حتة بعيدة وتخليني أنا أحاسب وفي الآخر

تقول لي خلي حساب الضحك عليا!!!!

سليم بابتسامة خفيفة:

-يا عم أنا اللي هحاسب وهغديك كمان.

عزام مُضيقًا عينيه قبل أن يقول بصوت هادئ:

-كمان.. دا الموضوع مش عزومة وبس.. هات اللي عندك هات؟!

تنهد "سليم" تنهيدة ممدودة بعُمقٍ قبل أن يقول بلهجة حاسمة:

-متعرفش تأجل تحويل فاطمة للمحكمة كمان أسبوعين؟!.. أنا والله العظيم قربت أوصل للمتهم الحقيقي، هم أسبوعين بس مش أكتر!!

تجهمت ملامح وجه "عزام" الذي أردف بقلة حيلة:

-سليم، دا قانون ولازم يطبق بحذافيره ومش هينفع فيه عواطف، أنا كمان شايف إنها ممكن تكون بريئة وتحليل المعمل الجنائي فيه حاجة مش مظبوطة بس التحريات دي دورك وإنتَ مقدمتليش أي دليل يغير مسار القضية!!

سليم بصوت مخنوقٍ:

-هانت صدقني.. هانت أوي.

عزام وهو يومىء برأسه سلبًا ثم يصرح:

-قدامك ٣ أيام و٣ كمان عندي في النيابة لحد ما أخلص أوراق تحويلها للمحكمة، غير كدا أنا مقدرش أعمل لها أي حاجة وساعتها هطبق اللي يقتضي بيه القانون، الموضوع في إيدك لو عندك دليل قدمه قبل ما المحكمة تنطق بالحكم.

أغمض "سليم" عينيه ثم تنهد باستسلام قبل أن يقول باختناقٍ:

-خلاص، ادعي لي بقى ولا أعمل أي منظر!
عزام بابتسامة حقيقة يقول:
-ربنا يسدد خطاك لو كانت بريئة.
*****

## في صبيحة اليوم الموالي

وقف "سليم" خلف النافذة من داخل مكتبه الذي يطل على الشارع الرئيسي والذي يظهر البوابة الرئيسية للقسم ورصد الأشخاص الداخلين إليه والخارجين منه، أشعل سيجارة وبدأ يدخنها بشراهة في انتظار أول إشارة حول وصول الهدف إلى بوابة القسم، كانت ملامحه تتشنج بغضب عظيم، هل ضابط له سمعته النزيهة مثله يعجز عن الوصول إلى الحقيقةً حتى الآن؟! لأول مرة يعجز عن التشبث بطرف الخيط الذي يزج به إلى الحقيقة التي توارت خلف القبض على ضحية بريئة وكأنما الواقع يقول أن تنتهي القضية بظهور مُتهم ماثل أمام العدالة، تنهد بقوة وعيناه ترصدان حركة السير أمام بوابة القسم وما هي إلا دقائق حتى ظهر الشاب أمامه يتحرك نحو البوابة.

ثواني ووجد طرق على باب غرفته ودخل العسكري قائلًا بصوت ثابت:
-الشاب وصل يا فندم ومستني في صالة الزيارة!.
أسرع بالتوجه نحو مكتبه ثم دعس السيجارة داخل المنفضة وقال بصوت أجشٍ:
-خليها تقابله عادي والأمور تمشي طبيعية جدًا يمكن تقدر تقرره في أي معلومة.

العسكري بطاعة:
-اللي تشوفه يا فندم.. بعد إذنك.
انصرف العسكري فورًا فيما قرر "سليم" الانتظار لبضع دقائق قبل الانقضاض عليه من قبل العساكر والإتيان به إلى مكتبه، ظل يذهب في مكتبه روحة وجيئة مُحاولًا السيطرة على انفعالاته وألا يذهب إلى الشاب بنفسه وتنفلت أعصابه فيفتك به متذكرًا أن ضابط بقوته قد كان خوارًا في قضية ما والحقيقة التي يبحث عنها يكون طرف خيطها شاب أبله ينفذ دون عقل!!؛ ولكن الأهم الآن، الشاب عبد المأمور فمن يا ترى الذي يأمره؟!.
جلس "عطوة" على إحدى الدِكاك داخل صالة الزيارة في انتظار قدوم الأخيرة التي جاءته مُرتبكة الخُطى ولكنها حاولت أن تبدو طبيعية وإلا لقيت الأهوال من قبل الضابط، تنحنحت "سعاد" بتوتر قبل أن تجلس بجواره فيما رماها بنظرة عدوانية وقال بغيظ:
-امسكي يا ختي الفلوس، يكش نخلص من وشك!.
ابتلعت ريقها ثم قالت بثبات:
-ويا ترى بقى هتخلص من خدماتي ولا يومين وتيجي تقول لي عايزك في مصلحة يا ست سعاد.
عطوة وهو يرمقها شزرًا بجانب عينيه ثم يقول:
-لا خلصت الحكاية على كدا.
سعاد بابتسامة مُتهكمة تقصد بها مغزى متخفي:
-هي فعلًا خلصت.

سكتت لبرهة قبل أن تتابع:

-إلا قول لي يا عطوة، مين اللي طلب منك إني أقتل البت اللي معايا في الحجز!!

عطوة وهو يهدر مزمجرًا في غضب:

-يخصك في أيه إنتِ؟!!

أدرك أن نبرة صوته قد ارتفعت قليلًا فأخفضها على الفور ثم أكمل بحنقٍ:

-اخدتي فلوسك؟ خلصانة، أطير أنا بقى.

-بس إحنا ناويين نقصص لك جناحاتك قبل ما تطير يا عطوة!

استدار بجسده كله نحو مصدر الصوت وراح قلبه ينبض بفزع حينما وجد الضابط يندفع بغضب عارمٍ نحوه وفي تلك اللحظة قام "سليم" بالقبض على ياقة قميصه وراح يجره خلفه إلى غرفة مكتبه فيما بدأ الأخير يسأل بوجلٍ عمَّا ارتكبه من خطأ!

جره "سليم" بأعصابٍ مُتأججة إلى أن وصل به إلى مكتبه ثم دفعه بقوة للداخل ودخل وأغلق الباب، بدأ "عطوة" يبتلع ريقه بالكاد بعد أن رأى الشرر يقدح من عين الأخير فقال بنبرة متقطعة من شدة الهلع:

-خير يا باشا، أنا عملت أيه؟!!

سليم يهدر فيه بصوت جهوري:

-أنا السلطة يا زبالة وأنا بس اللي أسأل وإنتَ تجاوب ومع كُل إجابة غلط هلبسك تهمة شكل، إنتَ مُخير بقى هل تخرج من هنا على النيابة

شايل قضية أو اتنين أو تلاتة ولا ترد بما يرضي الله!!
عطوة بنبرة مُتلعثمة:
-اؤمر يا باشا!!!
تنهد "سليم" تنهيدة نارية قبل أن يضع كفيه ـِفـ جيبي بنطاله ثم يسأل بحدة:
-مين اللي طلب منك تدي أوامر لسعاد علشان تقتل زميلتها ـِفـ الحبس!!
انفتحت شفتي "عطوة" فأسرع "سليم" بوضع أصبعه السبابة أما وجه الأخير وقال بصوت هامس متوعد:
-فكر يا عطوة يا حبيبي قبل ما تلبس أول تهمة!!
رأرأت عينيه بتوترٍ واضحٍ جعل الأخير يقول بلهجة صارمة:
-فكر قبل ما تجاوب؟!!
رمقه "عطوة" بعينين وجلتين وملامح متوترة وما هي إلا لحظات حتى نطق بخوف:
-هي واحدة ست بس أنا معرفش اسمها يا بيه!
تحرك "سليم" نحوه ثم أسرع بالقبض على ياقة قميصه وقال بصوت غليظ يبعث الخوف ـِفـ نفس الأخير:
-ما قولنا بلاش كذب!
عطوة وهو يقسم بملامح خائفة:
-أقسم بالله ما أعرف اسمها يا بيه، هي جات سألت عليا ـِفـ الخرابة اللي أنا قاعد فيها واديتني قرشين وقالت لي أنفذ.

سكت هنيهة ثم تابع بصوت مرتجفٍ:

-بس أنا أعرف شكلها كويس أوي يا بيه.

أومأ "سليم" برباطة جأش ثم ابتعد عنه مرة أخرى وراح يجلس إلى مكتبه ثم يسأل باهتمام:

-اوصفها يا عطوة!!

عطوة بنبرة مُتلعثمة:

-رفيعة يا بيه ولابسة طرحة نص شعرها باين منها وفي المرتين اللي قابلتها فيهم كانت لابسة غويشة شبه الحنش.

سليم قاطبًا ما بين عينيه ثم قال باستنكار:

-حنش؟! تعبان يعني؟!

عطوة مومئًا بتأكيد على كلامه:

-أيوة يا بيه.. تعبان.

-صول رأفت!!!

انفتح الباب في الحال ودخل الأخير فيما سدد له "سليم" أمرًا بالقبض عليه وإلقائه في الحبس الاحتياطي للتحفظ عليه في الخطوة القادمة التي يخطط لتنفيذها، أسرع بالتقاط هاتفه ثم قرر إجراء اتصال عاجل بشخص ما.

*****

-ادخل يا بني.

أردف "عبد الله" بتلك الكلمات وهو يجلس إلى مكتبه مُطأطأ الرأس واضعًا رأسه بين راحتيه فقد شعر بدوار أوشك على أن يفتك

به وهو يفكر كُل ثانية فيما وجهه له الضابط من اتهام عندما علم بتعرض "فاطمة" لمحاولة اغتيال تستهدف قتل جنينها وإنهاء حياتها تمامًا وأنه الوحيد الذي يعلم بأمر حملها، رأى "عبد الله" أن كلام الضابط في محله؛ فمن يعرف بأمر حملها غيره حتى يقتلها؟!!. لم يستطع أن يواجه الضابط في كل كلمة قالها ولكن أثناء الحديث معه تذكر أنه في يوم من الأيام كان في حالة من فوضى المشاعر يرثى لها ولم يعد قادرًا على كتم الأسئلة والاعترافات التي تملأ روحه وكيانه فكان بحاجة إلى دفعة تجعله يبخ كل ألامه في عبارات حتى لو كانت غير مُرتبة، وقتها لجأ إلى ابنه وأخبره ذلك اليوم أن زوجة أخيه تحمل جنينًا في أحشائها وأنه يتعاطف معها قلبًا وقالبًا كما أنه يثق من براءتها نحو كل التهم الموجهة إليها حتى أن عقله يرفض تصديق كونها قاتلة حتى لو لم يكن المجني عليه ابنها، تذكر غضب "أنور" وقتها الذي أخبره أن يكف عن إظهار تعاطفه لها وأن مثلها يجب أن ينال عقابه في أسرع وقت وأُقفل الحديث بينهما على رفض "أنور" تقبل واقع كونها بريئة.

قرر إخبار "سليم" بما حدث بينه وبين ابنه وأن ثمة شخصٌ آخر يعرف عن جنينها ومن هنا بدأت شكوك "سليم" تتوجه نحو الأخ وزوجة الأخ في حين أن "عبد الله" لم يتقبل فكرة أن يقتل الأخ أخيه!.

عاد من شروده إلى واقعه المرير على صوت رنين هاتفه، ترك الصورة القابعة بين راحتيه على جنب ثم نظر إلى الشاشة مُتفقدًا هوية المُتصل وما أن رأى رقم الضابط المسؤول عن التحري حول الواقعة

حتى أجاب بلهفة حقيقية:

-السلام عليكم يا حضرة الظابط؟!!

سليم يقول بلهجة سريعة وحازمة:

-في جديد في القضية ومحتاج مساعدتكم لو يهمك تعرف القاتل الحقيقي لابنك!!

تابع "عبد الله" بلهفة:

-أنا معاك يا سليم بيه.

سليم بثبات:

-تعالى لي على القسم بسرعة.

لم ينتظر "عبد الله" دقيقة واحدة في القصر بل توجه على عجلة من أمره إلى القسم الذي يعمل فيه "سليم النجدي" والذي احتُجزت فيه زوجة ابنه أربعة عشر يومًا على ذمة التحقيق قبل تحويلها إلى المصحة، طلب مقابلة ضابط الشرطة في الحال فسُمح له بالدخول إلى مكتبه ودار بينهما حديث يفي بمواصفات المتهم الحقيقي الذي اتضح في النهاية أنه امرأة!!

في تلك اللحظة، سرح "عبد الله" قليلًا قبل أن يقول بصوت خافتٍ:

-دا معناه إني شكيت في ابني ظُلم؟!!

رمقهُ "سليم" بنظرة قوية ثم تابع بصوت نافي:

-لا دا مش معناه خالص، حسب ما بتقول إن المواصفات دي تخص زوجة ابنك التانية فأكيد واحدة ست مش هتقتل وتخطط بطولها، الموضوع فيه أطراف تانية!.

ابتلع "عبد اللّه" غِصَّة مريرة في حلقه وهو لا يكاد يصدق ما جاء به الضابط؛ ولكنه قرر مساندته حتى النهاية وحتى لا يُحاسب على تقصيرًا منه في حق مظلومة لم ترتكب ذنبًا كي تعاني أهوالًا ونكبات بين جدران السجون والمصحات النفسية، تنهد "عبد اللّه" تنهيدة ممدودة بعُمقٍ قبل أن يقول بلهجة فاترة:

-وأية المطلوب مني يا سليم باشا؟!!

سليم بثبات:

-صورة ليها هنعرضها على الشاب اللي نفذ لها ولو قال إنها هي هيتم القبض عليها فورًا وملف القضية هيتفتح من تاني والكلام هيختلف.

أومأ "عبد اللّه" برأسه منصاعًا للأوامر الموكلة إليه داعيًا اللّه في نفسه ألا يُصدم في ابنه!!!

*****

مرَّ يومان بعد لقاء عبد اللّه بسليم وكان في حيرة من أمره حتى جاءه خبر مغادرة "فاطمة" المصحة هذا الصباح إلى مقر النيابة العامة لبدء التحقيق معها، وفي ذلك الوقت قرر أن يتصرف مُستجيبًا لِمَا ورده من أوامر.

*****

دخل "رَغد" تتبعه إلى غرفتهما، صفقت الباب خلفها بغضب عظيم وأخذ صدرها يعلو ويهبط في ثورة فيما تحرك "أنور" نحو خزانته وبدأ يختار منها ملابس غير التي يرتديها، اشتعلت من فرط الغيظ فأسرعت إليه وراحت تقبض بقوة على ذراعه ثم تصرخ فيه بجنون:

-إنتَ بتتجوز عليا أنا يا أنور!!

نزل "أنور" بعينيه إلى راحتها القابضة على ذراعه ثم ضغط عليها بقوة وراح يزيحها بعيدًا ثم يقول بنبرة باردة:

-أنا معملتش جريمة يا رَغد.. أنا اتجوزت!

أطلقت ضحكة تهكمية طويلة قبل أن تصرخ بغلٍ:

-طيب اللي بيتجوز اتنين وأربعة دا السليم، إنتَ بقى بتتجوز بتاع أيه؟! إنتَ عقيم يا أنور ولا ناسي يا حبيبي!!

في تلك اللحظة، هوت صفعة قوية على وِجنتها فراحت تصرخ بلهجة ينفجر منها رائحة الغل والشر:

-بتضربني أنا بعد ما استحملتك ووقفت جنبك وإنتَ ما بتخلفش، دا أنا أروح فيك في داهية.

رمقها بنظرة يحيطها الشر ثم قال بصوت غليظ جامد:

-أعلى ما في خيلك، اركبيه يا رَغد ومتحاوليش تمثلي، إنتَ مستحملاني علشان متتحرميش من القصر والفلوس والدخل مش حب فيا خالص وأنا قررت أشوف راحتي في حته تانية ومازلت باقي عليكِ، مطلقتكيش ورميتك في الشارع يعني!!

سكت لبرهة ثم تابع وهو يضع راحته على كتفها قائلًا بسلاسة:

-عيشي بقى وسيبيني أعيش.

رَغد وهي تحدق فيه ثم تصرخ بقهرٍ:

-أسيبك تعيش!! نجوم السما أقرب لك، أنا هقول للدنيا كلها إنك

حرضتني على قتل أخوك.
افتر ثغره عن ابتسامة عبثية ماكرة وقال بتعقيب خبيث:
-أنا حرضت ومين بقى اللي قتل!!
رَغد وهي تكيل له ضربات قوية على صدره ثم تصرخ بغضب عارمٍ:
-يا حقير يا زبالة.
في تلك اللحظة، فقد سيطرته على نفسه فأسرع بتكميم فمها بكلتا راحتيه والأخرى حاوط عنقها وبدأ يعتصره بقوة قائلًا بلهجة صارمة:
-عيشي في صمت يا رَغد وإلا هقلب موازين الأحداث وفي ثانية هرميكِ جوة السجن وإنتِ عارفة إن ملكيش حد يسأل عليكِ.
ظلت تصرخ بصوت مكتوم أسفل راحته فيما حدق فيها بعينين ناريتين يقدحان بالشرر قبل أن يتركها مُغادرًا الغرفة على الفور.
فيما صرخت هي بقهرٍ وأنفاس مُلتهبة:
-ويا ترى قولت لها مين فينا اللي ما بيخلفش، قسمًا بالله ما هرحمك يا أنور.
شرعت تصرخ صرخات مدوية وبدأت في تحطيم كُل شيءٍ يقابلها حتى أن الجماد لم يسلم من أذيتها ولاقى نموذجًا من شرها العظيم، ظلت تضغط أنيابها بقهرٍ ووعيد إلى أن سقطت منهارةً بالأرض تبكي بهستيرية توشك أن تدفعها للجنون، لحظات ووجدت طرق على باب الغرفة ثم أطال "عبد الله" برأسه من خلف الباب وبصوت هادئ قال:
-رَغد، قاعدة كدا ليه يا بنتي، مالك؟!

أخذت تجهش بالبكاء دون إجابة وقد انصهر كُحل عينيها وأضحت في حالة مُزرية، أسرع "عبد الله" بالاقتراب منها ثم مدَّ كفه كي يعاونها على النهوض إلا أنها أشاحت بوجهها عنه وراحت تتحامل على نفسها وتنهض وحدها، في تلك اللحظة، تابع "عبد الله" مُدعيًا القلق:

-مالك يا بنتي، ردي عليا؟!

قامت بمحو عَبراتها بظاهرة كفها قبل أن تتجه صوب المرحاض ثم تقول بخفوت:

-خناقة عادية مع أنور.

عبد الله بهدوءٍ:

-ادخلي اغسلي وشك يا بنتي، وأنا هتكلم معاه.

توجهت داخل المرحاض وصفقت البابَ خلفها فيما بدأ "عبد الله" يجوب الغرفة بعينيه باحثًا عن صورة حديثه لها وقد احتار في أمره من فرط التشتت إلى أن وقعت عيناه على صورة لها تقبع بجوار فراشها، هرع إليها ثم التقطها وراح يدسها في جيب سترته وقرر مغادرة الغرفة قبل خروجها.

*****

## على الجانب الآخر

وقفت "رَغد" أمام المرآة بعينين يملأها الشر والضغينة، هل جزاء صبرها معه إلقائها في سلة المهملات والبحث عن أخرى؟! هل جزاؤها أن يهددها بإدانتها خلف قضبان السجن في جريمة اشتركا فيها سويا؟!، هل كُل ما سعت إلى تخطيطه وتنفيذه طيلة هذه

السنوات يذهب إلى غيرها في ليلة وضحاها؟!.. لقد ارتكبت أبشع الأفعال والجرائم حتى تخلو لها الساحة مع زوجها ويتمكنان من وضع أيديهما على ميراث عائلة الزيني دون شريك لم يتعب ثانية في بناء هذه الثروة، توحشت نظراتها وهي تحدق بالمرآة قبل أن تفتح صنبور المياه وتقارب بين راحتيها وتبدأ ملأهما بالماء ثم قامت بسكبه على وجهها وهي تقول بنبرة تفوح منها رائحة الشر وكان ثمة حية تتوعد في فحيح:

-دورك جه يا أنور، تلميذتك هتعلم عليك.

*****

"لا يأتي الخير إلا بعد أيام من الكرب والمِحن؛ كحالٍ المطر لا يأتي إلا بعد غيوم قاتمة".

# غيومٌ وتفتح

تنهدت باستسلام تام وهي تتحرك مع أمين الشرطة المرافق لها حتى غرفة وكيل النيابة لبدء التحقيق معها بعد رفضها الحديث قبل أربعين يومًا مضوا. فقد أقرر الأطباء النفسيين داخل المصحة أنها أصبحت في حالة جيدة وجاهزة تمامًا لاستكمال الإجراءات القانونية ضد الجريمة المتهمة فيها، وصلت "فاطمة" أمام باب المكتب ثم بدأت تتنشق الهواء داخلها بثبات وقد بث الله في قلبها سكينة وطمأنينة لم تعهدها من قبل، نظرت إلى المحامي الخاص بها قبل أن تدخل إلى المكتب، نظر "عزام" إليها بهدوءٍ ثم طلب منها أن تجلس على الكرسي المقابل له ففعلت وجلس المحامي الخاص بها قبالتها مُباشرة.

تنحنح "عزام" بخشونة قبل أن يحدق فيها بإمعان ثم يقول بثبات:

-أعتقد إنك بقيتي أحسن عن المرة اللي فاتت؟!!

أومأ بالإيجاب ثم قالت بصوت خافتٍ:

-الحمد لله.

عزام مومئًا برأسه مُجيبًا في حسم:

-تمام، خلينا نبدأ.

التقط ملف القضية بين قبضتيه ينظر فيه نظرة عابرة وسريعة، شرع "وكيل النيابة" إلى إجراء التحقيق معها حول القضية المُدانة بها،

استدار بعينيه إلى سكرتير التحقيق الجالس أمام حاسوبه ثم قال بصوت أجش ثابت:

-إنه في يوم الثلاثاء الموافق ٢٠٢١/٣/٢٨ الساعة الرابعة عصرًا تم تحرير محضر تحقيق مع المتهمة/فاطمة الزهراء محمد عيسى.

حيث أرسل لنا مركز شرطة العجوزة المحضر رقم ٥٩٤ لسنة ٢٠٢١ وبمطالعته ألفينا محضر شرطة مؤرخ فى٢٠٢١/٢/١٨ الساعة السابعة صباحًا ومحرر بمعرفة النقيب/سليم النجدي معاون المباحث والذي أثبت فيه نفاذًا لإذن النيابة العامة الصادر له بضبط وإحضار المتهمة/فاطمة الزهراء محمد عيسى بعد أن أكدت تحاليل المعمل الجنائي تطابق عينة الحمض النووي الخاصة بها مع العينة التي وجدت تحت أظافر المجني عليه، وقد أعلمناها أن النيابة هي من تباشر معها التحقيق وسألناها عما إذا كان لديها شهود نفي أو محامي؛ فأجابت عن الشق الأول بالنفي وعن الثاني فقد حضر معها الأستاذ/محمد فارس مسعود.

وقد أجرينا عدة أسئلة لها حول التهمة المنسوبة إليها في حضور المحامي الخاص بها.

نظر إليها ثم تابع بسؤال واضح:

-ما قولك فيما هو منسوب إليك من قتل زوجك المدعو/فهد عبد الله الزيني؟!

أطرقت برأسها في قهر بعد أن تذكرت كونه أضحى بين الأموات،

ابتلعت غِصَّة مريرة في حلقها قبل أن تقول باختناقٍ:
-واللّه العظيم ما قتلته.
أومأ بثبات ثم طرح سؤالًا آخر:
-ما الذي حدث إذًا، ما هي ظروف ضبطك وإحضارك؟!!
اِغرورقت عيناها بالدموع ثم قالت:
-مش عارفة أيه اللي حصل بالظبط، غير إننا كنا مستنيين نتيجة الطب الشرعي والتحاليل اللي عملناها وفجأة لقيت نفسي متهمة، لكن أنا مستحيل أقتل جوزي.. مستحيييييييل.
تنهد وكيل النيابة تنهيدة ممدودة بعُمقٍ قبل أن يتابع:
-كيف اكتشفتِ الجريمة؟!
شردت بعقلها إلى تلك اللحظة فقالت بحزن دفين:
-كان يوم مطر والدنيا ضلمة وبرق ورعد وهو في العادي مش بيحب المطر خالص، بعد الساعة ١٢ بيحب يقعد في مكتبه ينجز مشاريعه ولو هيقرأ شوية قرآن وبعدين بيصحيني نصلي الفجر وننام، في اليوم دا صحيت على صوت البرق فجريت على الشباك وبصيت من وراه ولقيت في الجنينة خيال شخص من بعيد.
أخذ صدرها يعلو ويهبط باختناق ثم تابعت بصوت مُرتجفٍ:
-قولت مستحيل يكون فهد لأنه مش بيحب المطر، جريت على مكتبه بس مكنش موجود ودا خلاني أشك أنه يكون الشخص اللي في الجنينة وفعلًا نزلت للجنينة وقربت منه ولما استخدمت كشاف تليفوني لقيته

قاعد قدام ترابيزة وعينيه مفتوحة وكان قدامه أطباق فيها أكل، نقلناه على أوضته بسرعة وبمجرد ما النهار طلع الأكل اختفى من الأطباق!.

كان "عزام" ينظر إلى الأوراق طيلة الوقت وقد تطابقت كلماتها مع شهادة أفراد العائلة، رفع أحد حاجبيه بحيرة حاول إخفائها ثم قال بصوت أجش:

-هل وجد شخص معك لحظة اكتشاف الجريمة؟!

أومأ إيجابًا وهي تتابع:

-أنا صرخت وكُل اللي في البيت اتجمعوا وشافوا المشهد بنفسهم.

وكيل النيابة باستئناف:

-ما قولك في وجود خصلة من شعرك على الشمعة!!

فاطمة بثبات:

-حضرتك أنا مأنكرتش أبدًا غيابي عن مسرح الجريمة.. أنا اللي اكتشفت مقتل زوجي بنفسي.. أنا لمسته وأخدته في حضني.. هزيته علشان يرد عليا وصرخت.. بس مسمعنيش.

انسكبت العبرات على وِجنتيها فأسرعت بمحوها في الحال، تنهد "عزام" تمهيدا طويلة قبل أن يكرر سؤاله الأول مرة أخرى:

-إنتِ مُتهمة بقتل زوجك المدعو/فهد عبد الله الزيني قتلًا بالسم.

فاطمة بصوت متقطع من عدم قدرتها على التحمل:

-مقتلتوش.

عزام مومئًا بثبات:

-هل لديك أقول أخرى؟!
فاطمة بإيجاز:
-لأ.
*****
انتظر "عبد الله" داخل مكتب "سليم" بقسم الشرطة على أحر من الجمر حتى يأتي "عطوة" إلى المكتب ثم يقوم الضابط بتمرير الصورة أمام عينيه ومن خلال ما سيقوله سوف تتحدد مسارات القضية الجديدة، طُرق الباب ودخل العسكري قابضًا على ذراع الأخير ثم استأذن وغادر، تنحنح "سليم" بخشونة قبل أن يطلب منه أن يجلس على الكرسي الفارغ. انصاع "عطوة" على مضض شاعرًا بالخوف الشديد فيما التقط "سليم" الصورة وراح يضعها أمام وجهه قائلًا بصوت هاديء:
-هي دي الست اللي طلبت منك تقتل المسجونة يا عطوة!!!
ابتلع "عطوة" ريقه على مضض وامتنع عن الكلام لقليل من الوقت وحينما وجد أنه لا مفر من براثن الضابط أردف بصوت متوتر:
-أيوة يا بيه، هي.
سليم بحزم:
-مُتأكد يا عطوة؟!!
الأخير يومىء برأسه مؤكدًا:
-والله هي يا بيه، هو أنا هتوه عنها!!
استدار "سليم" بنظراته نحو "عبد الله" الذي تغير لون وجهه إلى

حمرة الغضب والاختناق وراح ينكس رأسه بوجع مريرٍ ومازال يتمنى من الله ألا يُصدم في ابنه حتى لا يكون قد خسر كُل شيء له في هذه الحياة؛ موت ابنه المُفضل تحت الثرى وموت ابنه الثاني في نظره!

استدعى "سليم" العسكري ليعود "بعطوة" إلى حجرة الحجز مرة أخرى وما أن أُغلق الباب حتى تابع "سليم" ببصيص أملٍ:

-أنا لازم أبلغ عزام بيه بالجديد، زمانه بيحقق مع فاطمة دلوقتي.

لم يجبه "عبد الله" فقطب حاجبيها ثم سأله بترقب:

-حاج عبد الله، إنتَ كويس.

عبد الله بصوت خافتٍ مُرهقٍ:

-ضهري مكسور ومش لاقي اللي أسند عليه، ولا بقيت عارف مين صح ومين غلط، أنا ممكن أموت يا سليم بيه لو ابني أنور طلع له يد في قتل أخوه!!!

سليم بصوت هادئ يدعوه للصبر:

-إحنا مش متأكدين، بس لازم تكون مُستعد لأي توقعات أو حقايق.

في تلك اللحظة، قرر "سليم" إعلام وكيل النيابة بما جد في القضية بعد اعتراف "عطوة" بتحريض تلك السيدة له على قتل المتهمة مما يدعو ذلك للشكوك والنظر في القضية مرة أخرى وأن استدعاء هذه السيدة إلى النيابة للتحقيق معها سيكون بداية طرف الخيط نحو حل اللغز، شعر "سليم" بسعادة غامرة فقد استفزته هذه القضية لفترة طويلة لما فيها من تعقيدات ومشتبه فيهم أبعد ما يكون عن ارتكاب الجريمة ولكن أحيانًا نبحث عن الوقائع بمنظور حاد وطويل المدى

بينما تقبع أسفل قدمينا لم نكن نحتاج إلا أن ننظر حولنا.
أمر وكيل النيابة آنذاك إلى الاستماع إلى إفادة الشاب وعلى إثرها منح ضابط الشرطة تصريحًا بإلقاء القبض عليها والاستماع إلى التهمة المنسوبة إليها والرد عليها؛ لذا جمع "سليم" قوته ثم انطلق إلى قصر الزيني في الحال.

*****

خرجت من المطبخ تختلس الخطوات إلى غرفتها وكانت تحمل في يدها شنطة بلاستيكية سوداء، توجهت إلى غرفتها بعد أن تأكدت من ذهاب العاملين بالقصر إلى بيوتهم وبقائها في القصر وحدها، دخلت إلى غرفتها وصفقت البابَ خلفها ثم رمت بما في يدها على الأرض وراحت تتجه إلى منضدة الزينة القابعة في منتصف الغرفة ثم التقطت أحمر الشفاه من عليها وبدأت تطلي شفتيها باللون الأحمر؛ لم تكن عيناها بحاجة إلى التكحيل إلا أنها بدأت تضغط بقلم الكحل داخل عينيها حتى صرخت بتأوه ضارٍ وراحت تطيح بالقلم أرضًا ثم تقول بنبرة نارية وهي تصر بعنفوان على أسنانها:
-قلم حقير.. هشتري واحد أحلى منك بالفلوس الكتير اللي هورثها مع القصر دا كله.
عادت تنظر إلى عينيها من جديد فوجدتهما قد تخضبتا بشعيرات حمراء دموية نتيجة احتكاك القلم الصلب بهما فقد أوشكت على فقعهما قبل أن تتراجع في الوقت المناسب، زفرت "رَغد" بقوة قبل أن تتجه بعينيها إلى الشنطة البلاستيكية، افتر ثغرها عن اِبتسامة

خبيثة وهي تشرع في التقاط الشنطة ثم تفرغ ما في جوفها وتبتسم ابتسامة أوسع يغلفها المكر والخداع.

بدأت تعد عدد السكاكين الملقية على أرضية الغرفة وتتذكر أنها طلبت منه أن يأتي عاجلًا فقد حدث معها أمر لا يحتمل التأجيل وراحت تلين في نبرتها وأنها تركت له حرية عيش حياته بالطريقة التي تروقه، في تلك اللحظة سمعت صوت أقدام عالقة بالدرج؛ فأخذت أنفاسها تتلاحق بقوة ثم قامت بدسهم تحت الفراش باستخدام كفيها وقدميها، لحظات ووجدته يدخل إلى الغرفة قائلًا بنبرة مُقتضبةً:

-خير، جيباني على ملا وشي ليه؟! أيه الكارثة اللي حصلت؟!!

تدبرت ابتسامة كاذبة ثم ردت:

-أنور، تعالى اقعد من فضلك وبعدين هشرح لك كُل حاجة حالًا.

استسلم للأمر الواقع عليه من ضرورة الانصات إلى ما جاءت به سواء كان تفاهاتها المعتادة أو شيء من هذا القبيل لا يقل تفاهةً عن الخيار الأول في الواقع، قام بالجلوس على الفراش فيما توجهت إليه تتدبر ابتسامة واسعة تصل إلى أذنيها وراحت تجثو أمامه بالأرض وهي تقول بنبرة هادئة:

-أنا قررت أتغير وأركز مع اهتماماتك وأول خطوة للتغيير إني هقلعك الشوز كل ما تيجي من الشغل وهحط لك رجلك في مية سخنة وملح.

رفع "أنور" أحد حاجبيه قبل أن يقول دهشةً:

-لا يا شيخة؟!!

بدأت تمد ذراعها أسفل الفراش في نفس اللحظة التي أجابت عليه

فيها بابتسامة باردة:

-طبعًا.

سكتت لبرهة ثم التقطت السكين بقبضة حاسمة ثم فجعته بطعنة عنيفة في منطقة قلبه، نظر إليها مصدومًا بعينين جاحظتين فيما حدقت فيه بانتقاد وتشفي وراحت تقول بصوت خافتٍ استكمالًا لعبارتها السابقة:

-طبعًا دا في أحلامك.

افتر ثغرها عن ابتسامة صريحة شامتة ثم مدت ذراعها أسفل الفراش مرة أخرى والتقطت سكينًا آخر وراحت تغرسه في مُنتصف صدره ثم تابعت ذلك بسكين آخر في بطنه والرابع دسته في عظام رقبته، في تلك اللحظة لفظ ما بقى له من أنفاس فانكب ساقطًا على صدرها فيما دفعته بقوة حتى سقط بالأرض وراح تقول بنبرة تشابه فحيح الأفعى:

-إنتَ اللي اختارت النهاية دي مش أنا.

كان متسطحًا على وجهه فأسرعت بقلبه حتى أضحى وجهه بالأعلى، شرعت تنظر إليها بنيران متأججة تتلذذ بما أصابه من ضعف وقد كان من قبل يفتك بها كلما فكرت التبجح فيه أو الرد على إهاناته لها، في تلك اللحظة، بدأت تمرر أصابعها على صدره ثم ضحكت ضحكة قصيرة وهي تقول باستمتاع جنوني:

-فاكر لمَّا قولت لي نفسي أخلص من أخويا فهد وكل العز دا يكون بتاعنا لوحدنا لمَّا قولت لي إن نفسك تاكل كبده أكل بسبب حب أبوك له وتفضيله عليك.

صمتت لوهلة ثم تابع بضحكة أعلى:
-الغريب بقى إني افتكرت الأمنية دي حالًا وعايزة أطبقها عليك، أية رأيك؟!!
زوت ما بين عينيها ثم صرخت تهزه بقوة وتقول:
-رد عليا مش بترد ليه؟!!
تركته على الفور بوجه مُكفهر ثم قامت بنزع إحدى السكاكين من جسده ثم نظرت إلى جنبه وأضافت بحسمٍ:
-لازم أحقق لك أمنيتك.
في تلك اللحظة، بدأت تشق جنبه ببلادة وقلب ميتٍ، بينما ينفجر جسده بدماء غزيرة لطخت الأرضية التي افترشت بالدماء، بدأت تتفحص الجزء المشقوق بحثًا عن العضو المستهدف إلا أن وجدته؛ فراحت تبتسم ابتسامة نصر وظفرٍ وما أن ظهر أمامها حتى بدأت تنتزعه من مكانه بقلب سُلب منه الرحمة وأقسى معاني الإنسانية حتى أنها لم يرق لها جفن ولم ترتجف أطرافها قيد أنملة، نظرت إلى (الكبد) القابع بين يديها بتشفي وغليل يظهر في لمعة عينيها المتقدة، أسرعت بوضعه بجوار الجثة ثم اتجهت إلى الشرفة وجاءت منها مرة ثانية وهي تحمل قفصًا يوجد بداخله نوعًا نادرًا من الخفافيش التي لا تعيش في مصر حيث تتغذى على الدماء واللحم وقد حصلت عليه من خلال ذاك الساحر الذي يساعدها في أغلب مخططاتها السامة والانتقامية، قامت بوضع القفص بجوار الجثة ثم تناولت (الكبد) وراحت ترميه لهم فتهافتوا عليه يلتهمونه في غضون ثواني، راحت

تنظر إليه نظرة خالية من الندم تارة وأخرى إلى القفص وفي عقلها تلمع فكرة فحواها أن تحرر الخفافيش فتلتهم كُل جزء به ثم لا يعد به أثرًا بعد اليوم!!!

استفاقت لوهلة من شراب الانتقام الذي تجرعته فبدأت تنظر إلى كفيها الغارقين في الدم ثم تقول بصوت مخنوقٍ هامسٍ:

-أنا مقتلتوش، هو اللي قتل نفسه، أنور!!!!

ألقت بنفسها تجلس على ركبتيها بالأرض ثم صرخت صرخة مدوية تقول بنيران تستعر بين ضلوعها:

-كان لازم تموت علشان أنا اللي تعبت معاك مش واحدة غيري، الفلوس والقصر والثروة دي كلها من حقي يا أنور.

بدأت تصك وِجنتيها بقوة ثم تقول بغضب مخيفٍ:

-وهقتل أي حد هياخد حقي مني، أنا متنازلتش عن أمومتي ببلاش.. سامع!!

بدأت تهزه مرارًا وبقوة ثم أجهشت بالبكاء وقالت بعجز مهينٍ هي من اختارته سبيلًا تسلكه:

-أنا اتنازلت عن أمومتي وصبرت على نظرات الشفقة عليا علشان مطلعش خسرانة كل حاجة.

وهنا، كانت النهاية، وجدت صوت طرقات عنيفة على باب الغرفة ومحاولة ضارية لفتح الباب باستخدام قوة الدفع، تسمرت في مكانها تجلس بجوار الجثة إلى أن تمكن أحد أمناء الشرطة من فتح الباب وما أن دخل "عبد الله" أولًا حتى حدق في ابنه بعينين مُتسعتين ثم

سقط مُغشيًا عليه في الحال.

نظر "سليم" للجثة بصدمة ثم صاح بصوت جهوري:

-اقبضوا عليها فورًا.

هرع العساكر نحوها ثم تمكنوا من تقييد ذراعيها واقتيادها تحت حراسة مشددة إلى عربة الشرطة، تم إخبار النيابة بشأن الجريمة فجاء وكيل النيابة في الحال وبدأ يعاين مسرح الجريمة حتى جاءت لحظة عرضها على النيابة والتحقيق معها، وقف بجوارها عسكرين يقيدان ذراعيه في قوة خاصةً بعد ما ظهر عليها من أعراض غير طبيعية فيبدو أنها قد انغمست في صدمة أذهبت عقلها، كانت "رَغد" لا تتوقف عن التمتمة بعبارات غير مفهومة وغامضة إلا أن وكيل النيابة أصر على التحقيق معها واستجوابها، تنهد "عزام" بإجهاد قبل أن يدقق النظر إلى وجهها ثم يقول بترقب:

-مدام رَغد، عاوز أسألك شوية أسئلة؟!!

لم ترد على حديثه، إلا أنه تابع بصوت ثابت:

-إنتِ اللي قتلتي جوزك؟!

لم تفكر ثانية عن قول الحقيقة فتابعت بصوت مبحوح يغلفه التيه:

-قتلته بسكاكين وجبت له خفافيش تاكل كبده زيّ ما كان بيتمنى.

كانت تتكلم إليه دون أن تنظر في عينيه، زوى "عزام" ما بين عينيه ثم سألها باهتمام بالغ:

-زيّ ما كان بيتمنى؟! كان بيتمنى أيه؟!.

رَغد بصوت خفيضٍ:

-إن أخوه فهد يموت وياكل كبده.

انبسطت عقدة حاجبيه ثم هتف دهشةً:

-لحظة كدا، مين اللي قتل فهد فيكم!!

في تلك اللحظة، رفعت بصرها إليه ثم حدقت فيه بصورة مخيفة وأردفت بغيظ متأجج:

-إحنا الاتنين لأنه يستاهل، كان عايز يكوش على الورث هو وابنه لأن أنور جوزي ما بيخلفش.

تنحنح "عزام" مصدومًا، ثم راح يحك مقدمة رأسه غير مُصدقٍ وجود نفوس بشرية بكُل ذلك الشر؛ ربما ورده جرائم شتى من قتل واعتداءات أيضًا، ولكن أن يتحالف الرجل مع زوجته على قتل أخيه من أجل الحصول على الإرث كاملًا، من أجل المال؟!! تخلى عن أزره في محنته وكربه من أجل أوراق؟!.. أخذ نفسًا عميقًا إلى صدره يعينه على استقبال قدرٍ جديدٍ من الصدمات التي انخلع قلبه مع ظهورها، شعر برغبته في ضربها وتحويلها إلى المحكمة لإعدامها فورًا، ولكنه تمالك نفسه حتى يحصل على حلول لكافة الألغاز التي تغلف القضية، مسح وجهه بصبر ثم سأل:

-بس تحليل المعمل الجنائي بيتهم فاطمة!!

كان يرغب في قراءة تعابير وجهها ما أن يأتي بسيرة الأخيرة أمامها، عبس وجهها وراحت تقول بصوت حانقٍ مغلول:

-هي كمان لازم تخسر زيّ ما أنا خسرت.. أنا خسرت جوزي ونفسي

وفلوسي وهي خسرت جوزها وابنها الأول والتاني، كان لازم يتقطع نسلها زيّ ما حصل معايا.. هي مش أحسن مني في حاجة علشان كلهم يفضلوها عليا.

تجنبت الرد على سؤاله ولكنها أجابته على عدة أسئلة أخرى وفرت عليه طرحها، أغمض عينيه ثم سألها بشك:

-إنتِ اللي قتلتي ابنها الأول يا رَغد!!

سكتت للحظات ثم انسكبت دموعها على وِجنتيها وراحت تقول بحسرة:

-قتلته علشان مش قادرة أجيب زيه.

وكيل النيابة بفضول جامحٍ:

-قتلتي الطفل إزاي؟!!

استقبلت سؤاله بملامح مقهورة، قبل أن تذهب بعقلها إلى ذلك اليوم حينما عُلقت الأنوار في حديقة القصر حتى أُنيرت بشكل زاهي وراحت الطبول تدق بسعادة غامرة، كما ارتفع صوت الأغاني يصدح في أرجاء القصر احتفالًا بوصول أول ولي عهد لعائلة الزيني، كان "عبد اللّه" كمن ملك الدنيا بأسرها وهو يحمل بين ذراعيه حفيدًا له وتكريمًا لتشريفه إلى دنياهم أمر بذبح الذبائح وتوزيعها على الفقراء والمساكين وإطعام الأقربين والأحباب، امتلأ القصر عن آخره وكانت "فاطمة" في ذلك اليوم ملكة متوجة حققت لزوجها ووالده الأمنية التي رجوها بكثرة من اللّه وألحوا الدعاء بخصوصها.

تجهزت "فاطمة" وارتدت فستانًا طويلًا من اللون الأزرق المطعم

بحبات اللؤلؤ وقد أهداها "عبد الله" خاتمًا من الألماس فلبسته وبدا لامعًا يستفز الأعين، كان يهدهد الصغير بحُبٍ وفيرٍ ويحتوي فهد وزوجته تحت جناحيه، وضعت "فاطمة" غطاءً رأسها داخل غرفتها استعدادًا للنزول إلى حديقة القصر كي يرى الناس الطفل الجميل؛ ولكنها قررت أن تتركه نائمًا وتحتفل مع الأصدقاء والأقارب حتى يستيقظ ثم تأخذه لهم.

كانت "رَغد" تراقب الأجواء من بعيد فطوال هذا الأسبوع كانت تطلب منها "فاطمة" أن تجلس بجوارها، ثم تضع الصغير على فخذيها وتقول بصوت ودود:

-عمر ابننا إحنا الاتنين، مش ابني لوحدي يا رَغد.

كانت تحتويها بعبارات طيبة ونظرات ودودة حتى أنها تترك الصغير بين أحضان الأخيرة لساعات طويلة دون أن تطلبه منها أو تشعرها بالنقص مُطلقًا، ترجلت "فاطمة" خارج الغرفة وقررت أن تذهب إلى صديقتها وتعود بين اللحظة والأخرى كي تطمئن إن استيقظ أو لا يزال نائمًا، انتظرتها "رَغد" حتى نزلت إلى الطابق الأرضي ثم سارت على أطراف أصابعها حتى تسللت خفية إلى داخل الغرفة، تطلعت بلهفة إلى الصغير ثم سارت حيث ينام، كان ينام ساكنًا قرير العين في فراشه الصغير الذي جهزه له جده بعد علمه بخبر الحمل بأيام قليلة، وقفت بجوار فراشه مُباشرة ثم بدأت تمرر أصابعها على وِجنته الحمراء الناعمة وهي تقول بشوق شاعرةً بالنقص والحاجة إلى طفل مثله:

-زيّ الملايكة، أنا على فكرة حبيتك أوي من لحظة ما شوفتك، كان نفسي تكون ابني أنا مش ابنها هي.

تجمعت الدموع في عينيها ثم أكملت بنبرة مُتحشرجة:

-أمك طماعة وجشعة، اتجوزت أحلى شاب في العيلة، وخلفت منه ولد وكمان الحاج عبد الله روحه فيها.

ابتلعت غِصَّة مريرة سرت في حلقها ثم تابعت بنبرة باكيةً:

-تعرف إنها متستاهلكش!.. بس أنا هريحك منها علشان متتولدش في حضن أم جشعة.

ابتسمت بمرارة ثم تكلمت وكأنها تتحدث إلى شخص كبير وتطلب رأيه في ما إن كان يريد أن تُنهي حياته أم لا:

-أيه رأيك أوديك عند ربنا وتبعد عنها؟!!

سكتت لبرهة تتنهد بقوة وتابعت:

-رغم إنك هتوحشني!.

في تلك اللحظة، أسرعت بنزع دبوس تثبت به غطاء رأسها ثم بدأت تغرسه في رأس الطفل عدة مرات متتالية إلا أنه بدأ يبكي بصوت فاتر خفيضٍ وما أن رأت قطرة دم تظهر من بين شعره الغزير حتى أسرعت بمحوها باستخدام منديلها الخاص، وعلى الفور هرولت تخرج من الغرفة قبل أن يأتي أحد ويراها!

-رَغد، بسألك قتلتيه إزاي؟!!

ارتجف جسدها على صوت وكيل النيابة الذي أعادها من شرودها، نكست رأسها نحو الأرض ثم تابعت بصوت ينتحب ببكاء مريرٍ:

-غرست الدبوس في دماغه وتقريبًا عمل له نزيف داخلي ومات.
سرت رجفة خفيفة في جسده وراح يأخذ نفسًا عميقًا قبل أن يقول بلهجة حادة:
-ليه عملتي كدا؟! دا طفل، أذاكِ في أيه؟!
انهارت في البكاء وراحت تقول بصوت مبحوح ناقم:
-أنا بكرهها وبكرههم كلهم.. كان لازم كلهم يموتوا.
وكيل النيابة محافظًا على رباطة جأشه:
-قدمتِ رشوة لطبيب المعمل الجنائي علشان يتلاعب في التحاليل ويطابقها مع تحاليل فاطمة!!
كانت تبكي تارة وتتوقف عن البكاء أخرى في حالة تذبذب؛ لا تعرف هل هي نادمةٌ على ما فعلته من جرائم شنيعة، أم أنها تتفاخر بذلك والحزن الذي يغلفها ما هو إلا شعورًا بالهزيمة أو أنها خسرت كل ما سعت إليه في النهاية!!
كفكفت دموعها بظاهر كفها ثم أجابتهُ بنبرة مُتلعثمة:
-أنور مش أنا، هو اللي سعى لتغيير التحاليل.
عزام يستجوبها بذكاء:
-هو كان بيخطط وإنتِ بتنفذي مش كدا؟!
أومأت دون أن تتكلم؛ فتابع بترقب:
-دا معناه إنك إنتِ اللي نفذتي قتل فهد!!
في تلك اللحظة، خارت قواها وراحت ترتمي بجسدها كله على الأرض، قام العساكر بإسنادها ومحاولة رفعها مرة أخرى إلا أنها

قاومت ذلك بأن تقوست على نفسها وراحت تضع جبهتها على ساقيها وظلت تصرخ بانهيارٍ ونبرة جنونية ثم صاحت بهستيرية:

-قتلته.. قتلته.. قتلت فهد.. قتلت عمر.. قتلت أنور وقتلت اللي في بطن فاطمة.

شعر "عزام" بحاجته إلى قول هذه الحقيقة لاستهداف ردة فعلها عقب تلقيها لها:

-فاطمة مخسرتش الجنين.. فاطمة كويسة والجنين بخير.. إنتِ بس اللي خسرتي في الحرب دي!

صاح باحتراق وقد تأكد وكيل النيابة وقتها أنها حتمًا قد أُصيبت بمس من الجنون فيما ظلت هي تردد وكأنها تعرضت لارتطام عنيف أودى بعقلها إلى هوة سحيقة:

-مستحيل.. مستحيل أنا أخسر وهي لأ.

بدأت تلطم رأسها وخديها وبعد ذلك أوجد صعوبة في استكمال التحقيق معها فصدر إمرًا منه بتحويلها إلى ٨ غرب لتأهيلها نفسيًا كي يتمكن من متابعة تحقيقه معها قبل صدور الحكم النهائي وتحويل ملفها إلى المحكمة، تم نقلها بواسطة حراسة مشددة إلى هناك على أن تحتجز لمدة أربعين يومًا ثم يتلقى تقريرًا مؤكدًا من قبل الأطباء النفسيين هناك والذي وفقًا له سوف يتحدد مصيرها في خروجها وتحويل ملفها إلى المحكمة أو أن تبقى في المصحة حتى تستعيد عقلها الذاهب، وفي حالة أنه لم يعود فسوف تبقى في المصحة إلى أن تموت.

صدر أمر من النيابة بالقبض على الطبيب الذي تقاضى رشوة بغرض

التلاعب في التحاليل التي تخص الجريمة، وقد تم عرضه على النيابة وتم التحقيق معه، ثم حُكم عليه أن يقضي عشر سنوات سجنًا، وأن يُعزل من وظيفته بشكل نهائي عقابًا على ما فعله من مراوغة القانون وخيانة الأمانة وكذلك مصادرة الرشوة التي تقاضاها من شقيق المجني عليه.

انفكت خيوط الجريمة وعُقدها بدايةً من الجشع الذي تمكن في النفوس فجعل الدم ماء إلى أن فرض الله عدالته ليذيق كل ذي ذنب من نفس الكأس الذي أذاقه لغيره، وقفت "فاطمة" أمام وكيل النيابة بقلب مسرورٍ بعد أن عرفت بخبايا الأمور وأن شقيق زوجها وزوجته هما المتهمان الحقيقيان وقد علمت أن أحدهما نال جزاءه بنفس الطريقة التي تمنى أن يموت عليها شقيقه فيما تم تحويل "رَغد" إلى المصحة النفسية التي مكثت فيها الأخيرة لأكثر من شهر حتى أنها سوف تجلس على نفس الفراش الذي بكت عليه طيلة لياليها البائسة والمؤلمة، اِفتر ثغر "فاطمة" عن ابتسامة غير مصدقة ثم قالت بلهفة:

-يعني براءتي ظهرت وهخرج من هنا؟!!

هز "عزام" رأسه إيجابًا ثم قال بابتسامة ودودة:

-إنتِ بالفعل تم إخلاء سبيلك، والحمد لله إن ملفك مكانش لسه اتحول على المحكمة.

تجمعت الدموع في عينيها ثم وضعت قبضتها على قلبها وراحت تقول بنفس راضية:

-الحمد لله حتى يبلغ الحمد منتهاه.. الحمد والشكر لله.

عزام يسمح لها بابتسامة ودودة:

-اتفضلي يا مدام فاطمة.

انشرح صدرها بسعادة غامرة، وأسرعت خارج حجرة المكتب وهذه المرة دون حراسة أو رقيب يقيد حركتها، تجذفت في سيرها بخطوات متعجلة كطيرٍ يهفو إلى استرجاع حريته بعد ليالٍ من سجنه الضيق الذي لا يضاهي السماء في وسعها وعظمة خلقه عز وجل، توجهت إلى البوابة الرئيسية للقسم وقبل أن تهم بهبوطها وجدت "عبد الله" في انتظارها ويرافقه ضابط الشرطة الذي بذل قصارى جهده كي يثبت براءتها، قابلتهما بابتسامة عريضة قبل أن تسير نحوهما في امتنان وحبورٍ، وفي هذه اللحظة تكلم "عبد الله" بنبرة مُنشرحة رغم فتور قلبه بعدما صُدم بقهر في ابنه:

-حمد لله على سلامتك يا بنتي؟!

فاطمة بابتسامة ممتنة تقول:

-شكرًا يا بابا.. شكرًا على وقفتك جنبي وكل حاجة عملتها علشان أكون واقفة دلوقتي قدامك.

استدارت بعينيها نحو "سليم" الذي قال بابتسامة بشوشة:

-كفارة يا هندسة!

فاطمة وهي تبادله ابتسامة شاكرة، وقد عجزت كلماتها عن شكره؛ فتخشى ألا توفيه حقه أو تستصغر الكلمات أمام عظمة إنسان بقلب إنسان مثله، تنهدت باسترخاء قبل أن تقول:

-حاسة إن أي حاجة هقولها هتكون تافهة قدام كل حاجة عملتها

معايا، إنتَ أكتر إنسان مختلف شوفته في حياتي وحقيقي المميز فيك إيمانك بنصرة الحق، ياريت كُل الناس (سليم النجدي) مع حفظ الألقاب طبعًا.
سليم مودعًا إياهما ببضع كلمات راسخة:
-بيا أو من غيري ربنا ما بيوجعش مظلوم، وينصر عليه ظالم، في حفظ اللّه.
أوجز كلامه ثم ودعهما وغادر إلى رأس عمله، فيما غادرا سوية لملاقاة حياة جديدة قد اختلفت في يوم وليلة، قرر "عبد اللّه" بيع كافة ممتلكاته وشركاته بالقاهرة والتوجه إلى مسقط رأسه كي يتفرغ لحفيده القادم ويتمكن من رعايته رعاية كاملة دون أن ينقصه شيئًا وقد أيدته "فاطمة" في قراره وتوجها معًا إلى سوهاج.
*****

-ادخلي هنا متتعبنيش معاكِ!!
قامت المشرفة بدفعها داخل العنبر نفسه الذي مكثت فيه "فاطمة" لأكثر من شهر، قادتها المشرفة إلى فراشها ثم أردفت بلهجة حادة:
-تقعدي هنا متتحركيش من مكانك ومش عايزة مشاكل.
قالت جملتها الأخيرة وهي تتلفت حولها تخاطب الأخريات، وجدت كلًا منهن في عالمها الخاص ولا يأبه أحد لأقاويلها، شعرت المشرفة برائحة غدر قاربت على الهبوب خاصةً بعد الخبر الذي سُرب الأمس بخصوص الوافدة الجديدة والتي تكون السبب في زج زميلتهم إلى الحجز والمصحة، خشيت المشرفة أن تتركها وحيدةً ولكن هذه أوامر

لا بد من تنفيذها دون اعتراض، عضت أظافرها باستسلام قبل أن تتحرك نحو باب العنبر ثم تقرر مراقبة الوضع من بعيد، بدت الأوضاع هادئةً فقررت الانصراف إلى رأس عملها ولم تمر دقائق كثيرة حتى بدأت الفتيات يلتفتن نحوها بنظرات قوية وحادة وفي نفوسهن قرارًا بالانتقام لخاطر صديقتهن المُغادرة، وقفت إحداهن أولًا ثم سارت بخطوات وئيدة نحو "رَغد" وبصوت حاد صاحت:

-قاعدة على سريري ليه؟! قومي يلا لأشوي وشك بمية النار!!

انتفض جسدها بهلعٍ ثم أشاحت بوجهها للجهة الأخرى تتجنب الكلام معها، ضغطت الفتاةُ على أسنانها بانفعال طفيف ثم قامت بالقبض على ذراع الأخيرة وبدأت تجرها حتى أسقطتها من فوق الفراش، أخذت "رَغد" تصرخ بأعلى صوت لها وتقول كلمات غير مفهومة فتقتبس من هنا كلمات ومن هناك أخرى:

-ابعدي عني، أنا مش هخسر لوحدي هي كمان لازم تخسر.

أخذت تصرخ في تشنجٍ حتى تجمعت الفتيات حولها وبدأ الركل بالأقدام ينهال عليها، ظلت تتلوى بينهم وصوت صراخها يتضاعف مع كل ركلة بينما يتشفين بتعذيبها بعد ما فعلته من خيانة في حق الفتاة البريئة التي لم تقدم لها سوى كل الخير والثقة وما كان جزاء الثقة أن تقتل رضيعها بدم بارد حيث مررت دبوس مدبب داخل رأسه الرخو مما جعله يبكي بضعف إلى أن تعرض لنزيف داخلي أودى بحياته؛ فلم يُفتر قلبها أو يهتز جفن لها وهي تؤذي رضيعًا عاجزًا عن التعبير

عن آلامه التي تميته ولم يرق قلبها وقت أن بكى من فرط الألم!
ظل شريط ذكرياتها يمر عبر عقلها في هذه اللحظة بدايةً من شعور الغيرة والحسد الذي راودها ودفعها إلى الانتقام مرورًا بقتل طفل ثم قتل أبيه وفي النهاية محاولة قتل الأم بعد علمها بوجود روح تستقر بين أحشائها ثم ينقلب السحر على الساحر وينال الذي دبر شر التدبير، ظلت تصرخ بقهرٍ شديدٍ بعدما اعترفت داخل نفسها بأنها الخاسرة الوحيدة في النهاية، لم يكن يؤذيها الضرب من قبل الفتيات بل أصابها أذى التجبر في دفع الثمن وحدها.
هل ترافع طمعها عنها أمام النيابة؟! هل وقفت نفسها الآثمة حائلًا بينها وبين العقاب؟! هل دفع المال عنها الأذى؟! كيف تغرينا الحياة الدنيا ونُصبح في يوم وليلة خالين الوفاض بعد أن كنا نملك مالًا يجري بين أيدينا كنهرٍ فيَّاض، هل ينجيك مالك من عقاب الله أو تستطيع أن تمحو به الذنوب التي ملأت صحيفتك؟!
ليت الإنسان يعلم أن مساعيه تصبح لا قيمة لها أن غاب فيها الخوف من الله.

*****

## قبل شهر

جلس "فهد" إلى مكتبه وقد فرد لوحة التصميم الخاصة بإحدى المنشآت أمامه، التقط قلمه وبدأ يخط بعض الخطوط الرئيسية على اللوحة كتصميم مبدئي حول ما يدور في عقله المنهك من التصميم

السابق الذي انتهى منه قبل يوم فقط ولم يمهل نفسه قليلًا من الراحة حتى بدأ في تصميمه الجديد، سهر لساعات ينفذ النموذج الذي يشغل باله وتفكيره حتى انقضى الوقت سريعًا ولم ينتبه له إلا عندما جاءته خبطة قوية على زجاج النافذة جعلته يلتفت باستغراب ثم يتوجه إلى النافذة بحذر، تطلع من خلالها فوجد طاولة تقبع أسفل النافذة وبعض الشموع التي تنير ظلمة هذا الشتاء الكالح الذي يتميز بشدة البرودة وغزارة الأمطار.

اِفتر ثغره عن ابتسامة عريضة قبل أن ينظر للسماء التي تلبدت بالغيوم ويقسم أنها سوف تُمطر وقريبًا جدًا وربما تهطل عليهما أثناء جلوسهما سوية في هذا البرد القارسٍ، كان يرى أن ما فعلته زوجته ما هو إلا فكرة مجنونة خاصةً أنها تعلمٍ تجنبه البقاء في أي مكان يوشك أن يمطر ولكنه أراد ألا يحزنها وأن يسعد بما تخطط له، توجه نحو الباب ثم خرج وهبط درج القصر ومنه إلى الحديقة الخلفية التي يطل عليها غرفتهما وغرفة مكتبه فقط.

توجه "فهد" نحو الطاولة بقلب مسرورٍ وما أن وقف بالقرب منها حتى بدأ يبحث بعينيه عن زوجته ولكن تمكن من رؤية ورقة مرفقة بجوار الطبق فمال لالتقاطها ثم قرأ ما بداخله من رسالة تنص على ضرورة التهام طبقه قبل أن تظهر أمامه بتلك المفاجأة التي تحضرها له.

ابتسم ابتسامة عريضة قبل أن يجلس إلى الطاولة وهو يردد بصوت خافتٍ:

-مجنونة رسمي بس ماشي.
التقط ملعقته وبدأ في تناول ما به من طعامٍ حتى فرغ الطبق مما جعله يقول بلهجة حازمة:
-يلا بقى اظهر وبان عليك الأمان!!
أخذت عينيه تتلفتان في كل مكان حوله ثم بدأ ينادي عليها بهمس:
-فاطمة؟!
في تلك اللحظة، بدأ يشعر بألم قاتل يسري في جوفه وشعورًا مباغتًا بحاجته للغثيان، حاول أن يستند على الطاولة حتى يتمكن من النهوض؛ إلا أنه تفاجأ بـ "رَغد" تخرج عليه من خلف الأشجار، زوى ما بين عينيه باستغراب ثم قال بتوعكٍ:
-رَغد، بتعملي أيه هنا؟!
تحركت نحوه بخطوات مُختالة حتى وقفت أمامه ثم قالت بصوت جافٍ:
-ما أنا اللي مجهزة لك الأكل دا والشموع!!
هدر فيها باستنكار غير قادرٍ على تجاوز الألم الذي يعتصر معدته:
-إنتِ!!.. ودا بمناسبة أيه؟!
اِفتر ثغرها عن اِبتسامة ساخرة ثم صرحت:
-بمناسبة إني سميتك يا أخو جوزي العزيز زيّ ما أنا بردو اللي موت ابنك في سبوعه.
حدق "فهد" فيها مصدومًا ثم حاول التحرك من مكانه ولكنه لم يتمكن من ذلك حيث بدأ مفعول السم يتمكن منه، قامت "رَغد"

بالاقتراب منه ثم تابعت بتشفي:

-ما رديتش على كلامي!!

فهد بألم جارفٍ يصرخ:

-آآآآه، زبالة وعمرك ما هتنضفي.

في هذه اللحظة باغتها بالقبض على عنقها ما أن اقتربت منه، جاهدت كي تفلت منه ولكنه لم يتركها إلا بعد أن طبع جرحًا عميقًا آخر عنقها، تأوهت بغيظ متأجج قبل أن تجده يسقط على مقعده مرة أخرى ويبدأ فمه في إخراج سائل شفاف وهنا تحدث "فهد" بتمتمة خفيفة:

-أشهد أن لا إله إلا اللّٰه..

سكت لبُرهة يسعل بقوة قبل أن يكمل:

-وأن محمدًا رسول اللّٰه.

أُغلقت عيناه عقب أن قال الشهادة ثم ذهبت روحه فورًا وهو مطرق برأسه في الأرض وعينيه مفتوحتان من شدة الألم الذي عاصره في اللحظات الأخيرة.

*****

اعتدلت في نومتها جالسةً وهي تنظر إلى ستار الغرفة الذي يهتز بحركة خفيفة رغم إحكام غلقها للنافذة، سحبت نفسًا عميقًا إلى صدرها حينما شعرت برائحة المطر تداعب أنفها الدقيق في تمني؛ فدومًا تخبره بأنها تتنبأ بقرب سقوط الأمطار من خلال خياشيمها الاستشعارية فيضحك غير مُصدق حتى تسقط الأمطارُ بعد سويعات أو دقائق من حديثها، تعشق رائحة المطر فيما ينكر وجود رائحة

له، أسرعت بالنهوض تتقفى أثر الرائحة حتى وقفت أمام النافذة المُغلقة، أزاحت الستار قليلًا حتى تتمكن من رؤية السماء لعل ظنونها تقع في محلها، رفعت بصرها للسماء ووجدتها مُلبدة بالغيوم؛ فبرقت ملامح وجهها سرورًا بمجيء المطر وأول ما جاء إلى عقلها أن تهرول إلى زوجها وتطلب منه الخروج معها إلى حديقة القصر كي تستقبل سقوط الأمطار دون حائلٍ؛ فتدعو، تنادي وتصرخ حتى يغسل المطر قلبها المكلوم في حسرة كما يفعل بالأرصفة والسيارات فتزهو من جديد.

في غضون تأملها للسماء وبعد أن اتخذت القرار بالذهاب إليه، همَّت أن تُغلق الستار مُجددًا؛ ولكنها أبصرت خيالًا يجلس على إحدى الدِكاك القابعة بالحديقة؛ فتعجبت لذلك ثم تمتمت بصوت خافتٍ:

-مين اللي سايب أوضته وقاعد في البرد والمطر دا؟!

أحدت البصرَ إليه ولكنها لم تتعرف عليه بَعد فتركت الستار ثم أسرعت نحو الأريكة المجاورة للفراش والتقطت سُترة صوفية طويلة وراحت تلف جسدها بإحكام قبل أن تخرج من الغرفة إلى مكتب زوجها، دقت الباب بهدوءٍ مرة ثم الثانية ولم تحصل على ردًا منه فقررت الدخول لعله نائمًا فتوقظه إلا أنها لم تجده في مكانه المُعتاد الذي يلوذ إليه فرارًا من همومه.

انتفض قلبها بين ضلعيها بهلع تتذكر الخيال الذي رأته قبل قليل من نافذة غرفتها، هل زوجها يا تُرى؟! وإن كان فما الذي يُجلسه في ذلك البرد القارسٍ وتحت الأمطار الغزيرة التي لا يحب الاقتراب منها

بشكلٍ مُباشرٍ!!!
تجذفت في سيرها خارج المكتب وعلى الفور هبطت درجات السلم وهي تتلفت حولها ربما تجده هنا أو هناك فلا يكون هناك داعٍ للقلق الذي تسرب إلى نفسها المُطمئنة من بعد عناء حتى زعزع استقرارها، فتحت باب القصر بتوجسٍ وقررت أن تقصد المكان الذي رأت فيه ذلك الخيال والذي يقع في الحديقة الخلفية التي لا تطل عليها سوى نوافذ غرفتهما فقط.
كانت تسير بحذر وهي تشد السُترة على جسدها ما أن سرت به رجفة خفيفة، أحدت البصر مرة أخرى ولكن هذه كانت عن قُرب حتى تأكدت ظنونها وهي تتعرف عليه من ظهره، شهقت دهشةً ثم أردفت بخفوت وهي تسعى إليه:
-معقول!
اقتربت منه على الفور ثم وضعت راحتها على كتفه أثناء وقوفها خلفه وراحت تعاتبه بصوت مخنوقٍ:
-حبيبي، بتعمل أيه في البرد دا؟! ومن إمتى بتحب تقعد تحت المطر!
كانت الرؤية غير واضحة حيث ينبعث الضوءُ من نور القمر فقط، عبست في قلقٍ عندما لم تجد منه إجابة وراحت تستدير كي تتمكن من رؤية وجهه إلا أن قدميها تعرقلت في أحد أرجل الطاولة الموجودة أمامه فتجنبتها حتى وقفت أمامه وكانت الطاولة في المنتصف بينهما، ابتلع ريقها على مهلٍ ثم تابعت بنبرة مُتحشرجة تخرج بالكاد:
-مش بترد عليا ليه؟! إنتَ نمت هنا ولا أيه؟

تذكرت أنها تحمل هاتفها في جيب السترة فأسرعت بالتقاطه ثم أضاءت المصباح الموجود في نظامه وقبل أن تصلب الضوء نحو زوجها رأت بعض الصحون التي تمتلىء بالطعام على الطولة؛ وكذلك شمعتين قد انطفأ ضوئهما بفعل قطرات المطر الساقطة عليهما وكوبين من عصير البرتقال اللذين اختلطا بماء المطر حتى فاضا على جانبيهما، برقت بعينيها ذُعرًا وهي تنتقل بضوء المصباح إلى وجه زوجها وما أن نظرت إليه حتى وجدته يحدق فيها بعينين جاحظتين لا يرف لهما جفنًا؛ فانطلقت من بين شفتيها صرخة مدوية تصم لها الآذان وتبكي على إثرها القلوب المُشفقة وتخشاها أسراب الطيور فتتفرق قائلين بأسف:

-"جريمة شنيعة جديدة تقتضي بموجبها لفظ الإنسانية آخر أنفاسها، تفرقوا قبل أن نُصرع في هذه الغابة بُغتة وهوان كما يفعلون ببني جنسهم".

*****

**-تمت بحمد الله-**

**٢٠٢١/٢/٢٨**

**علياء شعبان**




للترجمة والتدريب والنشر والتوزيع

زوروا موقعنا الإلكتروني

**www.ibda3eg.com**

**info@ibda3eg.com**

**publishing@ibda3eg.com**

**dreidibrahim@gmail.com**